هيرمينوطيقا(*) "موت الإله" عند "نيتشه"
بين النقد والإبداع

د. جوزفين رزق الله فرج
مدرس مساعد بقسم الفلسفة
كلية الآداب - جامعة بورسعيد

(*) كلمة "الهيرمينوطيقا "Hermeneutics كلمة يونانية الأصل وتشير الدراسات اللغوية إلى أن الفعل hertmeneueien" "والاسم hermeneia" "في اليونانية الكلاسيكية مشتقان من اسم الإله "هرمس Hermes" باعتباره رسول الآلهة لدى اليونانيين، ولذلك كان عليه أن يفهم أولًا ما تريد الآلهة توصيله إلى البشر قبل أن يترجمه وينقله لهم، والفعل اليوناني "hermeneueien " يترجم عادة بالفعل يفسر"interpretation"أو يوضح "explanation"، وهذا التفسير والتوضيح يمتد ليشمل العديد من المجالات أبرزها كتابات الفلاسفة والمفكرين، وأعمال الشعراء والأدباء حتى إنه يحاول تفسير لغة الجسد ودلالتها.

أما الهيرمينوطيقا كعلم فتعرفها القواميس والمعاجم الفلسفية بأنها "فن أو نظرية في التفسير، فضلًا عن كونها ذلك النوع من الفلسفة الذي يبدأ بالأسئلة الخاصة بالتفسير باعتباره_أي فعل التفسير_ من أكثر الأفعال المعبرة عن جوهر التفكير الإنساني حتى إن الوجود ذاته لا يكون في النهاية سوى عملية تفسير مستمرة". كان ذلك العلم في الأصل مقصورًا على الاستخدام في تفسير نصوص الكتاب المقدس، إلا أن "فريديريش شلايرماخر (١٧٦٨-١٨٤٣م)" و"دلتاى" (١٩١١-١٨٣٣) ركزا جهودهما لتحويلها إلى اتجاه فلسفي يتجاوز تفسير النصوص الدينية والنصوص اللغوية لتصبح علمًا عامًا في الفهم، ومنهجًا لتفسير ظواهر العلوم الإنسانية، ليستكمل "هايدجر"(١٨٨٩_١٩٧٦)، و"جادامير" (١٩٠٠-٢٠٠٢م) الطريق لتصبح الهيرمينوطيقا منهجًا وطريقةً لدراسة وفهم الوجود الإنساني ككل.

<<CP. : Audi, R. :"The Cambridge Dictionary of Philosophy ", Art: " Hermeneutics ", Cambridge University Press,Second Edition, 1999,P:377

And: Michelman, S. : "Historical Dictionary of Existentialism", Art: " Hermeneutics ", The Scarecrow Press, Inc, 2008, P: 180.

And: Young, Michael R. ,: A Brief Introduction to Philosophical Hermeneutics: Journal of Faith and The Academy, Vol. II ,Fall 2009,P:8.

صفاء عبد السلام جعفر: هيرمينويطيقا الأصل في العمل الفني، منشأة المعارف، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ٢٠٠٠. ص٢٣.

مراد وهبه:المعجم الفلسفي، مادة"هيرمينوطيقا"، دار قباء للطبع والنشر، ط٥، القاهرة، ٢٠٠٧ص٥٥٦، ٥٥٥>>

تمهيد:

"السمة الرئيسة للعصور الحديثة: لقد فقد الإنسان كرامته إلي حد لا يمكن تصديقه، بعدما كان هو مركز الوجود وبطله التراجيدي"(*)(١).

كان التقدم العلمي الذي بلغ أوج ازدهاره في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد ألقى بظلاله على الفلسفة، وها هم الفلاسفة يقفون منبهرين بقدرة العلم والعقل في الإجابة عن كافة التساؤلات التي ربما عجزت الطرق التقليدية في الإجابة عنها. وتحولت أحلام الفلاسفة إلى رغبة عارمة في إقامة نسق فلسفي يضاهي الأنساق العلمية في تقديم رؤية شاملة لهذا الوجود، نسق يقدم الإجابات عن كل التساؤلات التي اعتادت الفلسفة على طرحها عن الله والطبيعة والمعرفة، وكل مجالات الوجود من أجل فهم الحياة بشكل أفضل.

فمنذ ديكارت(١٥٩٦_١٦٥٠)، وعبر العقلانية الألمانية والتجريبية البريطانية وحتى كانط(١٧٢٤_١٨٠٤) كانت الأهمية الأولى لكيفية إقامة نسق فلسفي يضاهي الأنساق العلمية حتى ظهور النسق الهيجلي(١٧٧٠_١٨٣١) بقدرته الفائقة على وضع كل مظاهر هذا الوجود المادية والروحية، الماضية والحاضرة والمستقبلة تحت عباءة الروح المطلق والكلي والشامل وبدت الصورة يحتل فيها العقل مركز الصدارة في صنع العالم، وأصبحت الأهمية الأولى تعطى لمبادئ الفكر والعقل دون أن تعطي الاهتمام الأول لمن يمتلك هذا العقل(٢).

وفي خضم هذه الحالة ظهر التيار الوجودي مهتمًا بالوجود الإنساني ذي الوعي الفريد، والشخصية المستقلة والحياة التي يعيشها كما هي من متعة ومعاناة كما عاشها الإنسان الأول بدلا من التقيد داخل أسوار الأنساق العلمية الفلسفية (٣).

ويعتبر "فريدريش نيتشه" (١٨٤٤-١٩٠٠)(*) واحدًا من أهم رواد الفكر الذين راعهم ما وصلت إليه أحوال الإنسان في هذا العصر، فها هو يعبر عن هذا الوضع قائلًا: "**السمة**

(*) " The most universal sign of the modern age: man has lost dignity in his own eyes to an incredible extent"

<<Nietzsche. F:, The Will to Power Trans. by, R. J. Hollingdale, Vintage Books Edition , New York,P: 16>

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ترجمة:محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١١، ص ١٥.

(2)Frank,M. : A History of the Theory of Self-Consciousness, Translated by Peter Dews and Simon Critchley , University of Tubingen , Germany. P 44.

(3) Michelman, S. : "Historical Dictionary of Existentialism", P: 1.

(*) "فريدريش نيتشه" (١٨٤٤-١٩٠٠): فيلسوف ألماني، وهو من أكثر الشخصيات تأثيرًا في الفكر الفلسفي، ولد "نيتشه" في ١٥ أكتوبر ١٨٤٤ في مدينة "رويكن" الألمانية، وكان ابنًا لأحد القساوسة البروتستنات ليس ذلك فحسب، بل إن عائلته لأمه شغل كثير من أفرادها مناصب دينية، وتوفي والده وهو في الخامسة من عمره، انتقل بعد ذلك مع

الرئيسة للعصور الحديثة: لقد فقد الإنسان كرامته، بعدما كان هو مركز الوجود وبطله التراجيدي"[1].

كان "نيتشه" يرى أن الحضارة الأوربية بأكملها أصبحت تهتز منذ أمد طويل تحت ضغط يصل إلى حد التعذيب... إنها لم تعد تفكر وأصبحت تخشى التفكير[2]، وأصبحت تعيش على أفكار سائدة منذ قرون طويلة، وسلمت بها وبالغت في احترامها حتى وصلت إلى حد التقديس، ليس في الفلسفة فقط، ولكن في كل مجالات الحياة، وأصبح الإنسان ينظر دائماً إلى الماضي معتقدًا أن العصر الذهبي كان مع أسلافه ودعاة معتقداته، أصبح يمشي نحو المستقبل بخطى الماضي[3].

أسرته إلى مدينة "ناومبرج" والتحق بالمدرسة، وكان أقرانه يلقبونه "بالقسيس الصغير" نظرًا لرغبته في أن يصبح قسًا كباقي عائلته، وبالفعل أكمل دراسته الثانوية، وفي مدينة "بون" التحق بالجامعة، وبدأ بدراسة اللاهوت ولكنه سرعان ما تحول عنه إلى دراسة الفيلولوجيا الكلاسيكية _أي علم اللغويات والآداب الكلاسيكية _ التي أجاد وبرع فيها حتى إنه عين أستاذًا لها في جامعة "بازل" ولم يكن قد حصل على درجة الدكتوراه، وتركت هذه الدراسة بصماتها الواضحة عليه، حيث جعلته وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية، وزاد إعجابه بها حتى صارت له مثلًا يحتذي به، كما أثرت فيه في مجال اللاهوت حيث قدم مجموعة من المحاضرات طرح فيها رؤية نقدية للعهد الجديد كانت بمثابة البذور الأولى للشك في المعتقد المسيحي. تعرف على "فاجنر" الموسيقي الألماني وتأثر به وبموسيقاه كثيرًا، ونشأت بينهم صداقة، ولكنهما سرعان ما اختلفا، وكان أيضًا لهذا الانفصال أثر سيء في نفس "نيتشه"، ومن جانب آخر كانت للحالة الصحية لنيتشه آثاراً في حياته، إذ كان عرضة دائمًا لحالات من الاكتئاب الشديد التي تطورت في أواخر حياته إلى حالات من الجنون التي ظل يعاني منها لمدة ثمانية عشر عامًا حتى أودت بحياته في ٢٥ أغسطس ١٩٠٠.

مؤلفاته: "أصل نشأة المأساة"(١٨٧٢) وتأمل فيه "نيتشه" الفكر اليوناني، "إنساني مفرط في إنسانيته"(١٨٧٨)، "هكذا تكلم زرادشت"(١٨٨٣)، "الحكمة المرحة"(١٨٨٢)، "فيما وراء الخير والشر"(١٨٨٦)، "أصل الأخلاق"(١٨٨٧)، أفول الأصنام"(١٨٨٩)، وأيضاً "أرادة القوة"(١٩٠١)، "هوذا الإنسان"(١٩٠٨) اللذان نُشرا بعد وفاته.

<< انظر:

- روني ايلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة، مادة: "نيتشه"، ج(٢) "، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص٥١٢_٥١٥.
- عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مادة:"نيتشه"، (ج٢)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي، ١٩٨٤، ص٥٠٨
- صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص>>

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٧.

(٣) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ترجمة: جورج ميخائيل ديب، دار الحوار، الطبعة الثانية، مقدمة المترجم، ص١٤.

ولكن "نيتشه" يعلن أنه يرفض هذا الماضي ويرفض أن يُسلم بكل ما فيه من آراء قائلاً: "**الغد فقط هو الذي يخصني**"(١)، إنه يريد أن يحطم كل ما ورثته البشرية من أفكار لم تكن سببًا إلا في شقائها، ولذلك يدعو "نيتشه" على لسان "زرادشت"(*) قائلاً :" **قل كلمتك وحطم**"(**)(٢).

لقد سعى "نيتشه" إلى إعادة بناء الأسس القيمية والفكرية والأخلاقية التي يقوم عليها التراث الإنساني كله، ورأى أنه السبب في ضياع مكانة الإنسان وكرامته، ولذلك وجه النقد لكل ما يعرقل تمتع الإنسان بحريته وقوته وحياته على الأرض، تلك القوة التي تتجلى في قدرته على الاستقلال والإبداع والتحكم في نفسه الرقي بها(٣).

وفي إطار هذه الرؤية الناقدة كانت الفكرة المركزية التي اتخذها "نيتشه" ليعلن بها ثورته على كل هذه القيم والموروثات هي عبارته الشهيرة "الإله قد مات"(٤)(*).

---

(١) المصدر نفسه، ص٢١.

(*) "زرادشت" هو الشخصية التي يتحدث "نيتشه" على لسانها في أهم كتبه (هكذا تكلم زرادشت)، و"زرادشت" (٦٥٠ق. م_ ٥٨٣ق. م) هو حكيم ومصلح ديني إيراني،، ويدور معني اسم "زرادشت" حول معاني الخير والطهارة والصلاح والتقوى والطاعة، وهو مؤسس الديانة الزرادشتية القديمة وتقوم هذه الديانة علي وجود إلهين :"إله الخير ""، واله الشر ""، ومن الصراع بين القوتين تنشأ الحياة، فالحياة هي صراع دائم بين إله النور والخير وإله الشر والظلام، والإنسان الصالح هو الذي يقف بجانب قوي الخير والنور ضد قوي الشر، لقد كان "زرادشت" من وجهة نظر نيتشه هو أول من قال بالخير والشر كقوتين متنازعتين في حياة الإنسان، وقد حاول نيتشه معارضة زرادشت ليثبت أن فكرتي الخير والشر دخيلة على الإنسانية، أنه ليس للإنسانية أن تتفوق على ذاتها إلا بإنكار الخير والشر وتحطيم كل الشرائع القديمة.

<<انظر:

- أحمد راتب عمروش وآخرون: موسوعة الأديان الميسرة: مادة "الزرادشتية"، دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠١،، ٢٧٩.
- الشفيع الماحي أحمد : زرادشت والديانة الزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والعشرون، الرسالة ١٦٠، الكويت، ٢٠٠١، ص ١٦.
- فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت: ترجمة: فيليكس فارس، مطبعة جريدة المصير، الإسكندرية، ١٩٣٨:مقدمة المترجم، ص ٢٠. >>

(**) "Speak your word and break!"
<<Nietzsche. F: Thus Spoke Zarathustra, Trans. by,Adrin Del Caro,Cambridge university press, New York,P:116>>

(٢) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، ص ١٢٣.

(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، مقدمة المترجم، ص٥.

(*)"God is Dead"
<<Nietzsche, F. : The Gay Science, Trans. by : Josephine Knockoff, Cambridge University Press, 2001, p: 119-120. >>

عبارة صادمة كانت ولا تزال مثارًا للجدل ولسوء الفهم، ويرجع ذلك إلى النظر إليها بشكل مختزل ومجتزئ بعيدًا عن مسارها الحقيقي، ونحن من خلال هذا البحث سوف نقوم بمحاولة متواضعة لتتبع وفهم وتفسير عبارة "موت الإله" عند "نيتشه"، وتوضيح المعنى والمغزى الحقيقي لها، من خلال طرح مجموعة من التساؤلات الآتية:

- ⇐ **س١: ما المحور الرئيس في فلسفة "نيتشه"؟**
- ⇐ **س٢: ما مظاهر ثورة النقد عند نيتشه ؟**
- ⇐ **س٣: ما أهم خصائص هيرمينويطيقا "موت الإله" عند "نيتشه"؟**

وسوف نحاول الإجابة عن هذه التساؤلات باستخدام المنهج التحليلي النقدي المقارن.

أولاً: "نيتشه" صورة جديدة للفكر والمفكر(الطبيب والفنان والعالم)

"كل الشخصيات الحرة تصدر ضجيجًا فظيعًا(*) (١).

بالفعل ليس هناك ضجيجًا أكثر من الذي خلفه "نيتشه" بفكره الذي كان بمثابة زلزال عنيف هز أوروبا كلها، وحول إليه أنظار الفلاسفة والعلماء والأدباء ورجال السياسة، سواء اتجهت إليه أنظارهم بالقبول والإعجاب والانبهار، أو بالرفض والنقد والاستهجان(**) (٢).

والسبب في ذلك أن "نيتشه" لم يكن فيلسوفًا بالمعنى المألوف، الفيلسوف الذي يقدم مذهبًا شاملًا ومتكاملًا يضع فيه نظريته ورؤيته الخاصة، ويقدم فيه حلولًا لمختلف المشاكل

(*)"pandemonium of all free spirits. " <Nietzsche,F: Twilight of the Idols ،the history of error,5. >>

<Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, Trans. by: Judith Norman, Cambridge University Press, First published ,2005,P:171>>

(١) فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ترجمة: حسان بورقية، محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، ردمك، ١٩٩٦، ص٣٤.

(**) لا تكمن أهمية "نيتشه فقط فيما قدم من أفكار، ولكن أيضاً في المناقشات التي أثارتها أفكاره، والتفسيرات التي أثيرت حولها سواء كانت بالقبول مثل "ياسبرز "الذي خصص مؤلفين كاملين لفلسفة نيتشه وأرائه، خاصة فيما يتعلق بعلاقة "نيتشه" بالمسيحية وهما :""نيتشه"، والثاني"نيتشه والمسيحية" كما تناول "مارتن هايدجر" أفكار "نيتشه" في مؤلفاته، وهناك أيضاً "بول ريكور" الذي يعترف أن "نيتشه" هو الفيلسوف الذي هزه تماماً، وأن قسماً كبيراً من كتاباته كان للرد علي "نيتشه"، هذا بالإضافة إلى تأثيره الخفي في كتابات "كامي" و"سارتر" وغيرهما من الفلاسفة.

<<انظر: جورج زيناتيد: رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣، ص١١٣. >>

(2)Nietzsche,F. : Human All Too Human, trans. by: R. J. Hollingdale, Cambridge University Press, UK, 1996,introudiction,p: xxviii.

التي تواجه العقل البشري، بل على العكس من ذلك يرفض فكرة النظام والنسقية فيقول :" ***أحتاط من كل صانعي النظام وأتحاشاهم***"(١)، فالأنظمة أو الأنساق التي شيدها الفلاسفة والعلماء على السواء هي بمثابة قلاع محصنة بنيت من مجموعة من المفاهيم المجردة، بناها هؤلاء المرضى كي يعزلوا أنفسهم عن الحياة لشدة خوفهم منها، وفي الحقيقة هي ليست قلاعاً ولكنها كخلايا النحل وأعشاشها، خلايا تمتاز بدقتها ونظامها، ولكنها مع هذه الدقة متناهية الصغر ومتناهية الضعف، لقد اعتقدوا أن كل العلم وكل الفلسفة، أي الحياة على قدر رحابتها يمكن أن تسكن هذه المساكن الحقيرة والصغيرة (٢).

لقد رفض نيتشه أن تختزل وتختصر الحياة والطبيعة بكل مظاهرها في صيغ مجردة تختفي فيها كل نشوة الحياة المتدفقة، فما قام به الفلاسفة عبر العصور هو "تحنيطٌ للأفكار"، وكل ما دبره الفلاسفة منذ آلاف السنين لم يكن سوى مومياوات للأفكار، لا شيء حقيقي خرج حيًا من تحت أيديهم(٣).

إن هؤلاء السادة المولعين بالمفاهيم المجردة يعرضوننا لخطر الموت، إنهم كأنسجة العنكبوت التي تنتظر الانقضاض على فريستها. أما "نيتشه" فيرفض أن يسكن في هذه القلاع أو أن يكون فريسة لهؤلاء العناكب، فيقول مخاطبًا هؤلاء العناكب:

" أود أن أُسلط الضوء علي أمكانكم الخفية، ها أنا أواجهكم بقهقهة تسقط عليكم من الذرى التي أتنسمها، وها أنا ذا أمزق نسيجكم، حتى إذا ما تملككم الغضب خرجتم من مغابر أكاذيبكم وتدفقت نقمتكم بكلمة العدل التي تتفوهون بها"(*)(٤).

إذن فنيتشه يقدم لنا نفسه بصور مختلفة عن صورة الفيلسوف النسقي التي تعودنا عليها؛ ففي الوقت الذي أصبح الاهتمام منصبًا على الفيلسوف المثالي، وعلى زهده، و حبه للحكمة، تم رفض كل المظاهر الحسية والتركيز على العقل، وأصبح الفكر يحدد لنفسه مهمة الحكم على الحياة ومعارضتها بقيم عليا مزعومة.

---

(١)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص١٢.

(٢)جورج زيناتيد: رحلات داخل الفلسفة الغربية، ص

(٣)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٢٥.

(*)" But I want to expose your hiding places to the light; therefore I laugh into your face my laughter of the heights. Therefore I tear at your web, so that your rage might lure you from your lie-hole lair, and your revenge might spring forth from behind your word “justice. ”

<<Nietzsche, F. : Thus Spoke Zarathustra,P:76,77. >>

(٤) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "العناكب"، ص١٢٦.

إن الفيلسوف الحقيقي عند "نيتشه" هو في البداية إنسان يعيش ويسمع ويبصر ويتوجس ويأمل ويتخيل باستمرار أمورًا خارقة، إنه كالعاصفة تحمل بروقًا جديدة، ويصاحبه دومًا أمورًا مرعبة، إن مهمته الحقيقية أن يخلق الأهداف والقيم فيقول:

" **أنهم يعيّنون بدءًا وجهة الإنسان وغايته ويتصرفون من أجل ذلك، وفي العمل التمهيدي لكل قضايا الفلسفة، وكل من قهروا الماضي وتغلبوا عليه، أنهم يمدون يدهم الخلاقة إلى المستقبل، وكل ما هو وما كان يغدو لهم وسيلة وأداة ومطرقة. إن معرفتهم إبداع، وإبداعهم تشريع، وإرادة الحقيقة عندهم إرادة قوة. هل هناك فلاسفة من هذا النوع؟ هل سبق أن وجدنا فلاسفة من هذا القبيل؟ ألا يتحتم أن نجد مثل هؤلاء الفلاسفة في يوم ما** "(*) (١).

إن "نيتشه" يرى الفيلسوف الحقيقي كالفنان(**)، والطبيب(***) أو مثل العَالِم(****)، وهذه الصورة هي التي وُجِدَ عليها الفلاسفة قبل سقراط، حين تجلت وحدة الفكر والحياة،

(*) The real philosophers , however are commanders and lawgivers, they say: "Thus SHALL it be!" They determine first the Whither and the Why of mankind, and there by set aside the previous labors of all philosophical workers, and all subjugators of the past,they grasp at the future with a creative hand, and whatever is and was, becomes for them thereby a means, an instrument, and a hammer. Their "knowing" is CREATING, their creating is a law−giving, their will to truth is—WILL TO POWER. —Are there at present such philosophers? Have there ever been such philosophers? MUST there not be such philosophers some day?

<<Nietzsche, F. : Beyond Good and Evil, Trans. by: Helen Zimmern, Blackmask Online. , 2002, p "211", p: 47. >>

(١) فريدريش نيتشه: ما وراء الخير والشر، ترجمة: موسي وهبه، دار الفارابي للطبع والنشر، الطبعة الأولى بيروت، ١٩٩٧، ص ١٧٣، ١٧٢.

(**) يتحدث "نيتشه" عن الفيلسوف–الفنان في مقابل الفيلسوف النظري، يرى أن الفيلسوف الحقيقي هو أشبه بالفنان سواء كان ذلك الفنان (موسيقياً_ رساماً_شاعراً)؛ فهو أولاً شديد الالتصاق بالواقع والحياة، وهي مصدر فنه وأعماله، كما أنه يمتلك دائماً القدرة على الرؤية من زاوية مختلفة، فما يراه العامة أمراً عادياً ينظر إليه الفنان من منظور مختلف. فهم كما يراهم "نيتشه" البارعون والمبتكرون الذين يعدوننا في كل عمل فني أن يقدموا شيئا غير مسبوق، إن الفنان عند "نيتشه" هو الممثل الحقيقي لفعل الإبداع، وتجسيد للرغبة في عدم الخنوع بما هو واقع، جدير بالذكر أن "نيتشه" كان يرى في الفن بصف عامة باعتباره منظاراً للحياة، فكل حياة تقوم على المظهر والفن، وهو هنا يعارض فكر أفلاطون باعتبار الفن محاكاة لعالم المثل، ليؤكد أن الفن هو التعبير عن الظاهر، الظاهر عند نيتشه ليس تمثيلا للحياة، بل هو الحياة. الظاهر هو الحقيقة، لأنها لا يمكن أن تقوم سوى كمظهر و ليس المظهر زيفا أو وهما أو ظلا للحقيقة كما يزعم أفلاطون.

<< فريدريش نيتشه: الفجر، ترجمة :محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٣، ف ٤٣٢، ص٢٢٨ & صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٤٢.. >>

حينما كانت أنماط الحياة توحي بطرق التفكير، وتخلق أنماط التفكير طرق الحياة، تنشط الحياة الفكر ويثبت الفكر الحياة.

لكننا لم يعد لدينا هذه الوحدة، ولم يعد لدينا سوى أمثلة يلجم فيها الفكر الحياة ويشوهها ويخضعها للعقل، وفيها تحول الفيلسوف من كونه ناقدًا للقيم السائدة ومشرعًا ومبدعاً للقيم والتقويمات الجدية ليصبح خاضعًا، ويظهر بصورة المحافظ على القيم المسلم بها. كف عن أن يكون عالمًا وطبيبًا وشاعرًا، ليصبح أستاذًا للعامة [١].

لذلك يعود "نيتشه" إلى زمن ما قبل سقراط، ويرى في نفسه سوفسطائي القرن التاسع عشر الذي يشن حرباً ضد الأوضاع السائدة في عصره وكل ما أسماه مظاهر الانحطاط.

(***) الطبيب: لقد كان "نيتشه" يرى الفيلسوف الحقيقي أشبه بالطبيب الذي يحاول أن يعرف المرض الحقيقي الذي أصاب الإنسانية كلها وجعلها تعيش في حالة من التدهور والانحطاط، فيقول:"إن شأننا أن نصبح أطباء ذوي قلوب لا ترحم وأن نستخدم السكين،.... فالطبيب يضع سكين تشريحه على صدر فضلاء العصر بالذات، ليفشوا أسراراً خاصة بهم، لقد اكتشفوا في كل مرة كم الرياء والراحة والتهاون، والتذلل والكذب الذي اختبأ تحت رداء الأخلاقيات المعاصرة..... إنني لا أزال في انتظار وصول الفيلسوف الطبيب بالمعني الاستثنائي لهذه الكلمة، وتكون مهمته دراسة معضلة مجمل صحة شعب، مرحلة، عرق أو الإنسانية، والذي يمللك الجراءة ليحمل شكي إلي أقصي حد له، ويجرؤ علي طرح الفرضية في كل نشاط فلسفي تم حتى اليوم"

<< أنظر: فريدريش نيتشه: الحكمة المرحة، ترجمة : سعاد حرب، دار المنتخب العربي، بيروت، ٢٠٠١، ص ٩. & عدو المسيح، ص ٣٤& وما وراء الخير والشرص١٦٣. >>

(****) الفيلسوف عند "نيتشه" يشبه العالم الذي يقوم بتجارب عديدة وجديدة تخالف الموروث السالف، وهذه التجارب تعبر عن القدرة على التخلي عن المواقف السابقة و الجرأة في البحث عن الجديد، فهو يقول " هناك شيئا شديد الندرة... أقصد ذلك الإنسان الذي تم تكوينه بطريقة رائعة والذي يملك كذلك شخصية، وميولاً ويقوم في الحياة بالتجارب التي تناسب ذلك.، ويؤكد أنه "ليست هناك منهجية علمية تكون هي الوحيدة التي تفتح المنفذ إلى المعرفة" يجب أن نتعامل مع الأشياء كأننا نجرب، نحن الباحثون، كالفاتحين البحارة المغامرين، لنا أخلاق جريئة، ويجب أن نعتبر النظر إلينا كأننا أشرار أمراً جيداً.

<< فريدريش نيتشه: الفجر :ص٢٣٦ >>

(١) جيل دولوز :نيتشه، ترجمة:أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٨، ص١٨_٢٠.

ثانيًا: سوفسطائي القرن التاسع عشر رائدًا لثورة النقد

" إن الجبابرة يتخاطبون عبر مسافات التاريخ المقفرة، ويستمر حوارهم الرفيع بين الأفكار دون أن يعكر صفوه الأقزام المستهترون و الصاخبون الذين ما يزالون يزحفون"[(١)]

شهدت بلاد اليونان في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد عاصفة فكرية عنيفة هزت أركان العالم الإنساني وأفقدته تماسكه وثباته القديم المستمد من تقديس التقاليد والنظم القديمة المتوارثة، قاد هذه الحركة مجموعة من الفلاسفة الذين عرفوا باسم "السوفسطائيين"[(*)] الذين شكلوا نقطة فاصلة في تاريخ الفكر الفلسفي، إذ قيل عنهم إنهم **أنزلوا الفلسفة من السماء إلى الأرض**، وحولوا مشكلة البحث من عالم الطبيعة إلى عالم الأخلاق، واهتموا بالفرد، وحاولوا السمو بمقدرته على التعلم والإبداع والاختراع[(٢)].

كانت الفلسفة قبل السوفسطائيين هي دراسة نظرية تتجه نحو دراسة العالم الطبيعي، بينما حمل السوفسطائيون لأول مرة في تاريخ الفكر راية الاتجاه الإنساني، فلم تشغلهم الفلسفة النظرية، ولم يكن هدفهم البحث عن الحقيقة والمعرفة، ولم يبحثوا عن الحقيقة الخالدة، بل على العكس من ذلك وجهوا سهام الشك إلى كل ما هو مطلق من مبادئ

---

(١) فريدريش نيتشه: الفلسفة في العصر المأسوي الإغريقي: ترجمة :سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣، ص٤١، ٤٢.

(*) سوفسطائي"Sophist" :أصل هذا اللفظ في اليونانية (سوفيسما Sophisma) وهو مشتق من لفظ(سوفوس Sophos) وهي كلمة يونانية يقصد بها الإنسان الحاذق أو البارع في موضوع ما، وهو مرادف للكلمة التي تدل بذاتها على كل مهارة أو حيلة، أما السوفسطائية كمذهب فهي بوجه خاص ذلك التصور المشترك بين أولئك البشر من ذوي الثقافة الصورية البحتة والموجهة شطر الممارسة، ولا سيما فيما يتعلق بفن الجدل والكلام، ظهرت هذه الجماعة نتيجة لما مرت به بلاد اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد من انقلابات سياسية؛ فبعد أن كانت بلاد اليونان تتكون من دويلات وتقوم كل دويلة من هذه الدويلات بنفسها، ظهر في هذا القرن نوع جديد من النظم السياسية وهو الإمبراطورية، وبناءً على هذا التغير كان لا بد أن تتغير الفضائل المطلوبة من المواطن، فبعد ما كان العامل الوراثي (النسب الارستقراطي)، و القوة البدنية أهم ما يتميز به المواطن ليكون من القادة، أصبح الآن هناك معايير جديدة، فالقادة الذين تتطلبهم الدولة لا بد أن يكونوا متميزين من حيث الفكر والثقافة، ولذلك كان هدف التربية في هذه المرحلة أن نعتني بالإنسان لا من الناحية الجسمية، ولكن حيث التفكير العقلي وللوصول لذلك كان لا بد أن يتعلم المواطن فن الخطابة والجدل والقدرة على التأثير في الناس باعتبار، هذا الأمر من أهم متطلبات الحياة السياسية الجديدة للدولة، وكان من أشهر ممثلي هذا المذهب براتاجوراس(٤٨٠-٤١٠ق. م)، وكان يعلم قواعد النجاح في السياسة، وكان يرى أن السفسطة هي الأداة التي تجعل الناس أرفع كعباً مهما كانوا عليه، أي أنها تساعد في تنشئة بشر أرفع، و"جورجياس" وكان يعلم البلاغة وعلم السياسة، و"بروديكوس" وكان يعلم قواعد النحو والصرف، و"هيباس" وكان يعلم التاريخ والطبيعة والرياضيات.

<<انظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، "مادة :السوفسطائيين"، (ج١)، ص ٥٨٧. >>

(٢) أميرة حلمي مطر :الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف، القاهرة، ص١٢٢.

أخلاقية أو دينية أو معرفية، واهتموا في المقام الأول بدراسة الإنسان والحضارة التي أبدعها من دين وفن وشعر وسياسة وأخلاق، متجهين إلى إقرار فكرة النسبية والتعددية في العادات والتقاليد والأعراف والقوانين، منادين بأن ما يطبق في مجتمع ما قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر(١).

لقد أحدث السوفسطائيون بهذه الأفكار ضجة كبيرة في عصرهم، فكانوا أصحاب **أول نظرية نقدية في تاريخ الفكر** بما نادوا به من مبادئ تمثلت في زعزعة كل ما هو سائد من أعراف وتقاليد، ونتيجة لذلك نُظر إليهم بازدراء باعتبارهم خارجين عن المألوف، فهم يعكرون صفو المجتمع، ويثرون الشكوك فيما تعارف عليه الناس(٢).

وتمر السنوات والعقود والقرون حتى نصل إلى منتصف القرن التاسع عشر، لنر في "نيتشه" "**سوفسطائي القرن التاسع عشر**" الذي يحدث ضجة في أوساط الفكر _مثلما فعل السوفسطائيون بل وربما أعنف _ فقد ارتبط اسمه بنقد لاذع للدين والفلسفة والأخلاق والسياسة، حتى إن العلوم الوضعية لم تنج من سخريته ونقده، لقد وجه النقد إلى كل الأسس التي يقوم عليها التراث الفلسفي للإنسانية، واضعًا كل الأفكار والتقاليد الموروثة تحت مطرقته، محاولًا أن ينتشل الإنسان من ظلمته إلى حيث نور الفكر الحر، والنظر الصحيح للأشياء ويجدد فيه قدرته على الخلق والإبداع(٣).

كان "نيتشه" في الحقيقة معجبًا وشديد التأثر بالفكر اليوناني خاصة في مراحله الأولى قبل سقراط، وأفرد واحد من مؤلفاته للحديث عنهم باستفاضة وهو "الفلسفة في العصر المأسوي الإغريقي"، وفيه يستعير من "شوبنهاور"(*) وصفه لهم بأنهم "جمهورية العباقرة" ؛

---

(١) حربي عباس عطيتو: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص٢٣٧، ٢٢٩.

(٢) برتراند رسل: حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، فبراير ١٩٨٣ العدد رقم ٦٢، ص٧٣.

(٣) عطيات أبو السعود : الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص١٩٤.

(*)آرثر شوبنهاور(١٧٨٨_١٨٦٠) : فيلسوف ألماني ولد في دانزيج لأسرة من أصل هولندي كان والده يشتغل بالتجارة، ونتيجة لصعوبات تعرض لها الأب ومضايقات في عمله التجاري لم يجد أملا سوى الهرب الى "هامبروج" وبعدها بسنتين انتحر الأب وكان آرثر في حوالي السابعة وتم بيع أصوله التجارية، التحق آرثر بالمدرسة في "جوتا"، وفي عام ١٨٠٩ التحق بجامعة "جوتنجن" ليدرس الطب والعلوم، ولكنه قرر في العام التالي أن يتحول إلى دراسة الفلسفة، وفي عام ١٨١١، انتقل إلى برلين ليكتب أطروحته للدكتوراه عن "الجذر الرباعي لمبدأ السبب الكافي" في عام ١٨١٣، وفي أثناء السنوات الأربع التالية عاش في مدينة "دروسن"، حيث ألف كتابه "العالم إرادة وتمثلاً" في عام ١٨١٨ الذي حوى عرضاً شاملا لفلسفته إلا أن الكتاب لم يلق رواجاً.

فهم بالنسبة لنيتشه المبتكرين المبدعين الذين شكلوا وجودهم بأنفسهم، ولم يستعينوا بأي أفكار شائعة كان يمكنهم أن يستتروا بداخلها، لقد ابتكروا الأنساق الكبرى للفكر الفلسفي _سواء اتفقنا أو اختلفنا معهم_ ولم يبق لمجمل الأجيال اللاحقة أن تبتكر شيئًا جوهريًا يمكن أن يضاف إليها[١].

وقد تقمص "نيتشه" دور السوفسطائي في القرن التاسع عشر ليوجه النقد لكل مظاهر ما أسماه انحطاط الحضارة، من خلال إحياء المبادئ التي نادى بها السوفسطائيون ومنها نذكر:

أ. نقد الحقيقة المطلقة (النزعة الشكية ونسبية الحقيقية):

ارتبط اسم السوفسطائيين بالنزعة الشكية التي سرت في الفكر اليوناني، واتخذت هذه النزعة من عبارة "بروتاجوراس" "**الإنسان مقياس كل شيء**" مبدأ لها، وبناء على هذه الفكرة لم يعد هناك وجود لما يسمى بالحقيقة الموضوعية؛ فما كان يبدو للفرد حقيقياً يمكن أن يكون غير حقيقي بالنسبة لفرد آخر، وبالتالي لم يعد هناك معيار ثابت يمكن الرجوع إليه لتصحيح المعرفة، فالمعرفة تعتمد على الإحساسات، وطالما أن الإحساسات تختلف من فرد إلى آخر، بالتالي سوف تكون المعرفة في تغير مستمر[٢].

ويسير نيتشه في هذا الطريق نفسه فَيُوصف "نيتشه" من قبل الفيلسوف"بول ريكور"[*] باعتباره واحداً من أبرز زعماء الشك 'masters of suspicion' [١]؛ وهو نفسه يقول: "

<< انظر: بيلي سوندرز: فن الأدب مختارات من شوبهاور، ترجمة : شفيق مقار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦، ص٢٥_٣٠>>

(١) فريدريش نيتشه: الفلسفة في العصر المأسوي الإغريقي، ص٤١.

(٢) أميرة حلمي مطر :الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص١٢٤، ١٢٣.

(*) بول ريكور Paul Ricoeur (1913_2005): فيلسوف فرنسي، هو واحد من ممثلي الفلسفة الفرنسية المعاصرة، تأثر بوجودية كارل ياسبرز وبفينومينولوجية "هوسرل" التي سعى للتعريف بها في فرنسا، من أهم الموضوعات التي أهتم بدراستها مسألة الإرادة، فحللها نفسياً وأخلاقياً وما ورائياً، و أيضاً في مجال التحليل النفسي للإرادة أهتم "ريكور" بتوضيح الحواس، واعتبر أن التحليل النفسي هو بمثابة زهد وتنسك بالنسبة للتفكير الفلسفي، مما سمح له بالتخلص من وهم الوعي المباشر، وفي تحليله للإرادة تحليلاً أخلاقياً جعل "ريكور" من "فرويد" أستاذاً في العمل والحركة لأن بنظرته التشاؤمية إلي صعوبة الحياة بسبب النزاع بين غريزتي الموت والحياة يوجّه إلى تربية مستمرة للواقع.

أما في نظرته إلى كلية الإنسان فقد انطلق "ريكور" من منجزات تيارات الفكر الحديثة من التحليل النفسي والإثنولوجيا (الدراسة المقارنة للثقافة) والبنيوية، وكما تأثر بالشك الذي مارسه كل من "ماركس"، "نيتشه" وفرويد؛ فأظهروا وهم الوعي الكاذب مبينين انسياقا لا شعورياً تحكم في الحياة البشرية، فنظر إلى الإنسان نظرة كلية تعقلية ترى فيها كائناً يعرف ويحس ويفعل وحلله كشخص لا يمكن اختزاله.

<<انظر : روني ايلي ألفا:موسوعة أعلام الفلسفة، مادة: :ريكور"، (ج١)، ص٥١٧، ٥١٦. >>

لقد وصفوا أعمالي بمدرسة الشك... إني اعتقد أنه لا أحد قد نظر إلى العالم بشك في عمق شكي". (٢).

ويبدأ "نيتشه" في التشكيك فيما قدمته الفلسفة والفلاسفة عبر العصور؛ فيتساءل قائلاً: ***" ما السبب في فشل كل ما بناه الفلاسفة في أوروبا منذ أفلاطون وحتى الآن؟ما السبب في كون كل ما ظلوا يعتقدونه راسخًا وخالدًا بكل جدية أصبح مهددًا بالانهيار؟" (٣)***

ويجيب "نيتشه": "***لقد قمت لبعض الوقت بتفحص مختلف الأعمال التي يتعاطاها الناس في هذا العالم، وحاولت أن أختار أفضلها، ويكفي القول أنه لم يبد لي شيء أفضل من الإتمام الدقيق لما عزمت عليه... استغلال حياتي كلها لتطوير عقلي وتقصي جذور الحقيقة (٤).*** فوجد أن " ***الناس شعرت دائمًا أن "العقلانية" هي الأمل الأخير للخلاص (٥).***

لقد كانت الحقيقة دائمًا بمنأى عن الشك، فهي الهدف الأعلى الذي تتجه أي معرفة إنسانية إلى تحقيقه، وبالرغم من أننا نخطئ أحيانًا في اتخاذ الوسائل التي تقربنا إلى هذه الحقيقة، إلا أن الهدف ذاته يظل منزهًا ورفيعًا، وهكذا ارتفعت الحقيقة فوق عالم التغير والصيرورة الذي نعيش فيه، واستقلت عن شروط الحياة، وارتبطت بالنزعة العقلية باعتبارها الأكثر ثباتًا، واصطبغت بصبغة أزلية، وكونت عالمًا قائمًا بذاته وهو "عالم المطلق"، وفي هذا العالم تستقر كل الأزليات الأخرى التي عرفها الفكر الإنساني من مُثل أفلاطونية، و أشياء في ذاتها، ومبادئ مطلقة، وعلل أولى(٦).

ويرى "نيتشه" أن هذه النكبة التي سيطرت على الفكر قد بدأت منذ "سقراط" الذي يعتبره "نيتشه" المسئول عن حالة الجمود التي سادت الفكر الأوروبي طوال هذه العصور كلها، فقد كان أول من ميز بين عالمين متعارضين(الجوهر_ الظاهر)، (الصحيح _الخاطئ)، (المعقول _ المحسوس) (٧)، ودائمًا ما كان هذا الظاهر خادعًا، ومصدر هذا الخداع هو الحواس، ولا بد أن يكون هذا الخداع موجودًا حتى لا ندرك الوجود، وبالتالي

---

(1)Flynn, Thomas: "Existentialism" A Very Short Introduction, Oxford university press , Oxford, New York, 2006 ,p:38.

(٢) فريدريش نيتشه: أنساني مفرط في إنسانيته، ترجمة : محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٢، ص ٨.

(٣) فريدريش نيتشه: الفجر، ص ٩.

(٤) فريدريش نيتشه: أنساني مفرط في إنسانيته: ص ٨.

(٥) فريدريش نيتشه:أفول الأصنام :ص٢٣.

(٦) فؤاد زكريا: نيتشه:دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، د. ت، ص٦٣.

(٧) جيل دولوز :نيتشه، ٢٣.

فالحواس تضللنا بخصوص العالم الحقيقي، وأصبح الهدف طوال هذه السنوات الطوال هو التحرر من وهم الحواس، ومن الصيرورة، وأصبح الإنسان في خطر، ولم يكن لديه سوى الاضمحلال أو التظاهر بأنه منطقي حتى العبث[١]، وأصبح كل شيء قابعًا تحت قناع من الموضوعية والمثالية والعقلانية المجردة، وكل ميتافيزيقا وفيزيقا أصبحتا تطمحان إلى الغاية، إلى النهاية، إلى حالة ما ورائية، الكل يتجه إلى جانب آخر نحو الماوراء، نحو الخارج، نحو الفوق[٢].

وهنا يأتي دور سوفسطائي القرن التاسع عشر ليعلن مبادرته إلي إنزال الحقيقة من هذا الفوق فيقول عن نفسه: " **أنا منقب الأعماق الجيد الذي يهبط دون توقف ليصل إلى العمق**[٣]**، أنا الذي نزل إلى الأعماق، وأخذ يحفر في القاع، ويتفحص يقيناً قديماً ليزعزعه، يقينًا اعتاد الفلاسفة منذ آلاف السنين أن يبنوا عليه باعتباره الأرض الصلبة، وأعادوا البناء باستمرار** " [٤].

لقد رأى نيتشه في نفسه مكافحًا ضد يقين الفكر الغربي الذي قاد مسيرة الضلال ما يزيد عن عشرين قرن من الزمان[٥]، وها هو يأخذ على عاتقه دعوتنا لنقول "لا" لكل أولئك الذين لا يؤمنون بالحواس، ويحاول أن يغير هذه الأفكار المتسلطة والمحزنة عن الحواس والملطخة بكل الأخطاء المنطقية التي يمكن تصورها[٦]، ويعلن لنا السبيل في الوصول إلى الحقيقة فيقول:

" **فاعرفوا من هذا أن واجبكم هو طلب الحقيقة، فلا تطمحوا إلى ما لا يبلغه تصور الإنسان وبصره وحسه. امسكوا تصوراتكم كيلا تتجاوز حدود حواسكم.. على من يطلب المعرفة ألا يتورط في ما يريده العقل من المعميات**"[٧].

إن الفلاسفة أخطئوا حين أقنعونا بأن نحتقر كل ما ينشأ من التراب، كل ما هو خاص بالأرض، و كل ما هو خاص بالحواس، جعلونا نسير في الطرق الخفية المضللة، طريق

---

(١) فريدريش نيتشه: أفول الأصنام، ٢٥.

(٢) فريدريش نيتشه: العلم الجذل، ص ٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣.

(٤) فريدريش نيتشه: الفجر، ص٩، ٨.

(٥) رودلف شتاينر: نيتشه مكافحاً ضد عصره، ترجمة :حسن صقر، دار الحصاد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، دمشق، ١٩٩٨، ص ٥.

(٦) فريدريش نيتشه: أفول الأصنام، ٢٧.

(٧) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، الجزء الثاني "في الجزر السعيدة"، ص١١٢، ١١١.

العقل، ولكن العقل نفسه الآن يطلب منكم التملص من ذاته، لأنه طريد يشتهي أن يعشق الأرض[١].

يحاول " نيتشه" أن يعيد الإنسان إلى الأرض بعيدًا عن أوهامه حول المتسامي والخالد، نحو البعد البيولوجي للوجود الإنساني وغرائزه ودوافعه اللاعقلانية"[٢].

لقد فصل الفلاسفة الحقيقة عن الحياة، وأضفوا عليها سمات من الثبات والتسامي والإطلاق، في حين أن الحياة هي الأصل الذي يتحكم في كل فعل أو فكر إنساني، فإذا ما أعيد ارتباط الحقيقة بالحياة، لاتسمت بما تتسم به الحياة من تغير وصيرورة[٣].

ويعبر نيتشه عن هذه الفكرة قائلاً: " **لم يكن الأمر يتعلق بإيجاد الحقيقة، بل يتعلق بشيء مختلف، لنقل بالصحة، بالمستقبل، بالنمو، وبالقدرة، و بالحياة.** [٤]..... **ومعنى أن تحيا: أن ترمي بعيدًا عنك شيئًا يموت، أن تحيا يعنى: أن تكون قاسيًا، متعنتًا في كل ما يضعف فينا ويموت، وليس فقط فينا. أن تحيا: أن تكون قاسي القلب على كل المنازعين والبؤساء، والعاجزين؟ أن تقتل باستمرار؟**"[٥]

يحاول "نيتشه" أن يربط الحقيقة بالحياة في تغيرها وصيرورتها مؤكدًا أنه لا توجد حقيقة مطلقة، لقد وجد "نيتشه" أن كل ما هو واقعي وصادق ليس واحدًا، ولا يرد إلى الواحد؛ فتوجد كثرة من الحقائق، والنتيجة هي أنه لا توجد حقيقة، ويعبر "نيتشه " عن ذلك المعنى فيقول :" **لا توجد حقائق _ كل شيء يعبر عن فيضان لا يمكن إدراكه، يهرب ويفر منا، وما يبقى نسبيًا هو معتقداتنا وآراؤنا** [*]"، وبذلك لا تكون هناك حقيقة واحدة قابلة للكشف عنها، باستثناء الحقيقة التي نخلقها نحن بأنفسنا، كما لا توجد حقيقة في العالم عدا الحقيقة التي نبدعها بأنفسنا من أجله. إن الحقيقي هو ما يثير أكبر قدر من الشعور بالقوة، وهو من الناحية الحسية (من لمس وبصر وسمع) ما يدعو إلى أعظم مقاومة، كما يتمثل معيار الحقيقة في إعلاء مشاعر القوة [٦].

---

(١) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، الجزء الثاني"المعرفة الطاهرة"، ص ١٥١، ١٥٠.

(2)Flynn, Thomas: "Existentialism" A Very Short Introduction,p:37.

(٣) نيتشه: فؤاد زكريا: ص٦٣، ٦٤.

(٤) فريدريش نيتشه: العلم الجذل، ص٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(*) <<CP. : There are no facts, everything is in flux, incomprehensible, elusive؛ what is relatively most enduring is--our opinions" << Nietzsche, F. : The will to Power,P:327 >>

(٦) صفاء عبد السلام جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ٣٠٤.

إن الحقيقة عند "نيتشه" هي "**إرادة قوة**" حيث إن **إرادة القوة تسير على أقدام إرادة الحقيقة** [١]، و"إرادة القوة" التي يقصدها "نيتشه" هي التي تتضح في انتصار الـ"لا" على الـ "نعم"[٢].

"لا" لكل النماذج القديمة التي عاشت عليها البشرية، فلا توجد حقائق أزلية خالصة، والإنسان لا يمكنه أن يعيش دون أن يترك هذه الأوهام المنطقية، ويكف عن أن يقيس الواقع بمقياس ذلك العالم الخيالي البحت، عالم المطلق [٣].

إن القوة عند "نيتشه" تعني قوة الإنسان التي تتضح في الاستقلالية والإبداع، والتحكم في النفس، وقهر الصعاب والسمو بالنفس، والرقي بها، إنها ترتبط بمحاولة الإنسان التخلص من كل القيم والأفكار التي سادت فيما مضى، ولم تعد تجدي نفعًا[٤]، ولكن هذا الأمر لن يتم إلا بمجهود وإرادة قوية، إنها _أي الحياة_ علي حد تعبير "نيتشه" تحتاج إلى الشجاعة والقوة والعداء والقتل[*][٥].

وعن هذه الصفات يتحدث "نيتشه" في"هذا هو الإنسان" فيقول: "**لابد من الشجاعة كيما يتمكن المرء من فهم هذا الأمر، ولا بد من فائض من القوة التي هي الشرط الضروري للشجاعة؛ ذلك أنه بقدر ما تسمح الشجاعة لنفسها بالمغامرة مضيًا إلى الأمام يكون المقدار المناسب من القوة هو الذي يسمح للمرء من الاقتراب من الحقيقة.** " [٦]

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٠٥.

(٢) جيل دولوز : نيتشه، ص٢٧.

(٣) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، الجزء الثالث، "الانتصار على الذات"، ص١٤٢& فؤاد زكريا: نيتشه، ص٦٣، ٦٤.

(٤) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، مقدمة المترجم، ص ٦، ٥.

(*) يعتبر مصطلح القتل من المصطلحات التي تستخدمها الوجودية اللادينية، فنراها عند "نيتشه و كامي وسارتر، وكلها تتعلق بفكرة التخلص من العقبات التي تحول دون تحقيق الوجود الإنساني، وبالرغم من صعوبة المعنى الأخلاقي لفكرة القتل إلا إنه يحمل بداخله طابع البطولة والتحدي والإصرار خاصة عندما يقترن القتل بالموجود الأعلى "الإله" فنر "نيتشه يقول " لقد قُتل الإله"، وأيضا "سارتر" و"كامي"، والجدير بالذكر إنهم لم يقصدوا الإله بالمعني الديني، والإله الذي تعرفه الأديان كما سيأتي بيانه عند "نيتشه".

(٥) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، الجزء الثاني، " الوغد"، ص ١٢٤.

(٦) فريدريش نيتشه: هذا هو الإنسان، ص ٧٧.

وكلما كثرت المقاومة واشتدت الخصومة زادت قيمة الحياة، وأصبحت إرادة القوة أكبر ثروة، أعظم خصبًا؛ فالحياة في جوهرها نماء وإكثار(**)، إنها اندفاع إلى إثراء نفسها والعلاء بها وجعلها خصبة كل الخصوبة، وإلى عملية الحياة يرجع كل شيء في الوجود، أما في ذاتها فهي جوهر بسيط أولي لا يرجع إلى شيء آخر، وبمقدار تحقق هذه الإمكانيات واستغلال قوى الحياة، يكون العلو في الحياة(١).

إذن فمن خلال ما سبق نرى أن "نيتشه" قام بالعمل نفسه الذي قام به السوفسطائيون قديمًا، فقد جعل الحقيقة تهبط من سمائها الميتافيزيقية والمنطقية لتتخذ مكانها في الصعيد النفسي والأخلاقي وتصبح صورة من صور الاعتقاد، واختيارًا شخصيًا يعيشه الإنسان، وينعدم التمييز القديم بين الحق والباطل، وتصبح جميع التأكيدات تعبيرات ذاتية عن الشخصية العينية، ولم تعد ثمة حقيقة إلا الإنسان الذي لا يوجد وجودًا نهائيًا، وإنما هو في حال صيرورة دائمة(*) (١)

(**) ربما كان نيتشه في هذا الأمر متأثراً بالكتاب المقدس في سفر التكوين حينما خلق الإنسان فنرى "فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ.، وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وأكثروا واملأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ»، (تكوين ٢٨، ٢٧:١)، وتكررت فكرة ارتباط الحياة بفعل النماء والإكثار بعد الطوفان فنري في سفر التكوين الإصحاح التاسع يقول"" وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وأكثروا وَامْلأُوا الأَرْضَ»(تكوين١:٩).

(١) عبد الرحمن بدوي :"نيتشه"، وكالة المطبوعات، الطبعة الخامسة، الكويت، ١٩٧٥، ص ٢٢١& صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص٢٨١.

(*)تقترب هذه الفكرة مع فكرة "المشروع "Project" : والمشروع هو :صفة للوجود الإنساني في الفكر الوجودي، ويقصد به قدرة الإنسان على اختيار طريقته في الوجود والفعل على ضوء الغاية التي يحددها، لأنه لما كان الوجود يسبق الماهية، وليس العكس كما في الفلسفات التقليدية، فأصبح كل إنسان هو الذي يحدد ماهيته الخاصة بطريقة فردية، وكل منا يصنع ماهيته بطريقته الفردية دون أن نشترك مع غيرنا في شيء. ونحن نصنع هذه الماهية في كل لحظة من لحظات حياتنا، فالحياة عملية متصلة من اتخاذ القرارات، وتلك السلسلة من القرارات التي نتخذها يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة، بل ودقيقة بعد دقيقة هي التي تشكل ماهية الإنسان أو مشروعه، وهذا يفسر العبارة الوجودية القائلة بأننا لا نكتسب ماهية حتى لحظة موتنا، لأنه عندها لا يكون علينا القيام بمزيد من الاختيار، ويكون "المشروع Project" قد تم، وعلي ذلك فإن عمراً كاملاً من الوجود يسبق اكتساب ماهية، وحتى عندما نكون قد أتممنا المشروع بالموت، واكتسبنا هذه الماهية، فإن هذه الماهية تظل فردية، بل متفردة ولا نظير لها.

. وقد ظهرت هذه الفكرة بوضوح عند سارتر ؛ فالوجود الإنساني عند "سارتر" هو حركة مستمرة لا تنقطع، هو مشروع غير مكتمل دائماً، ولا شيء يوجد قبل هذا المشروع، وبالتالي فالإنسان مسئول عما يكون عليه. أما" هايدجر" فيرى أن "الآنية" أو الوجود الإنساني في حالة مشروع يتحقق في المستقبل، أي أن الإنسان يعيش دائماً في مستقبله، فوجودي هو ما سيكون عليه وجودي في المستقبل.

ب- نقد الأخلاق المطلقة (نسبية الخير والشر) :

ارتبط الجانب المعرفي بالجانب الأخلاقي عند السوفسطائيين، فلما انتفت فكرة الحقيقة المطلقة، ولم تعد توجد حقيقة واحدة للعالم، بل أصبح هناك كَماً من الحقائق لكل شيء في الوجود، وأصبح ما يدركه كل فرد على حدة هو حقيقة بالنسبة له [٢]، ترتب على ذلك انتفاء فكرة وجود قانون أخلاقي شامل وثابت، وأصبحت فكرتا "الأخلاق في ذاتها"، و" الخير في ذاته" لا وجود لهما، وأصبح الحديث عن الحقيقة في هذا الميدان _على حد تعبير "نيتشه"_هو ضرب من الجنون[٣].

كان السوفسطائيون قد تبنوا هذا الاتجاه النسبي، وأدركوا الاختلاف بين التقاليد والعادات البشرية، ورأوا أن التقاليد والممارسات والمعتقَدات الأخلاقية البشرية لم تُملِها الطبيعة (ولا الآلهة التي تُعَدُّ جزءًا من الطبيعة) بل تطورت بشكل مستقلٍّ تَبَعًا للظروف، فما كان مناسبًا لمجتمع ما، هو غير مناسب لمجتمع آخر، بل زعم السوفسطائيون أن ما ندعوه أخلاقًا صالحة لا يزيد عن أن يكون تعبيرًا خفيًا عما يحبه الناس، وبما أن الجماعات المختلفة تحب أشياء مختلفة، فلا يوجد معنى عام وشامل لما هو خير أو صالح بشكل عام أو مطلق، وما يوجد ما هو إلا مشاعر المحبة أو الكراهية[٤].

وقد عبر "نيتشه عن إعجابه بموقف السوفسطائيين في كتابه "إرادة القوة" قائلًا:" **اللحظة رائعة : السوفسطائيون يقدمون أول نقد للأخلاق، أول معرفة بها: يضعون أغلب التقويمات الأخلاقية واحدة تلو الأخرى؛ ويفهموننا أن الأخلاق كلها تبرير من وجهة نظر الجدل: أي أنهم يكشفون كيف أن أصل كل أخلاق سوفسطائي ولا شك..... لقد وضعوا**

<< انظر :مراد وهبه:المعجم الفلسفي، مادة"مشروع"، ص٥٩٧& عبد المنعم الحفني:المعجم الفلسفي، مادة"مشروع" الدار الشرقية، ط٣، القاهرة، ١٩٩٠، ص٣٢١& هنتر ميد:الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة :فؤاد زكريا، دار مصر للطباعة، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٤٠٩، ٤٠٨>>

(١). ريجيس جولفيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى سارتر، ترجمة: فؤاد كامل، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨، ص ٥٥.

(٢) أنتوني جوتليب: حلم العقل تاريخ الفلسفة من اليونان حتى عصر النهضة، ترجمة: محمد طلبة نصار، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٥، ص١٤٧.

(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ١٧٩.

(٤) غنار سكيربك : تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٤، ص٨٩، ٩٠.

الحقيقة الأولي التى مفادها أن ا"لأخلاق في ذاتها"، و"الخير في ذاته" لا وجود لهما وأن الحديث عن الحقيقة في هذا الميدان هو ضرب من الجنون ". [١]

وهذا المعنى نفسه هو الذي حاول "نيتشه" إحياءه من جديد، فقد كان "نيتشه" مهتمًا بفكرة الأخلاق مدركًا قوتها وخطورتها ومدى تأثيرها في الأفراد والمجتمعات، فهو يرى أنها بما لها من سلطة" Authority " يصعب علي أي فرد الوقوف أمامها، و لا يسمح لأحد أن يفكر في حضرتها، إننا لا نملك أمام الأخلاق إلا أن نطيع، إنها تنجح من خلال نظرة واحدة في تجميد إرادة النقد، أو جذبها لتقف في صفها، إنها تمتلك **فن الإقناع**" **art of the persuasion** "، لقد أثبتت الأخلاق على مر العصور منذ أن بدأ الإنسان يتكلم على وجه الأرض إنها الساحرة التي تغوي كل الفلاسفة، وتجعلهم يشيدون صروحهم تحت إغراء الأخلاق _كانط والفلاسفة الآخرين_ كانوا يتظاهرون بالاهتمام باليقين وبالحقيقة بينما كان اهتمامهم الحقيقي منصبًا على إقامة صروح أخلاقية شاملة [٢].

ويقف "نيتشه" رافضًا لهذا السحر وهذه الغواية ليعلن أنه بدأ في "**زعزعة ثقتنا في الأخلاق**"[*]، ويعلن أننا في حاجة أن نزيل من هذا العالم هذا الكم الهائل من السمو المزيف[٣]، إننا في حاجة إلى نقد القيم الأخلاقية_كما فعل السوفسطائيون_ وإعادة طرح قيمة هذه القيم للبحث، لمعرفة الشروط التي ولدت ونشأت بل وتشوهت فيها[٤].

وقد ظهر ذلك النقد في معظم مؤلفات "نيتشه" حتى وأن كانت لا تحمل في عنوانها أي علاقة بالأخلاق أو القيم إلا إنها تدور في إطارها، فعلى سبيل المثال يكتب "نيتشه" في مقدمة كتابه "إنساني مفرط في إنسانيته" يقول:" **دائمًا ما أندهش بشكل كبير حين يبلغني أن أعمالي كلها فيها شيء مشترك ومميز منذ ميلاد التراجيديا حتى آخر ما نشرت..... لقد قيل لي إنها كلها تحتوي على شبه تحريض خفي ولكنه مستمر، على قلب التقويمات**

---

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ١٧٩.

(٢) فريدريش نيتشه: الفجر، ص٩، ٨.

(*)" I commenced to undermine our faith in morality".

<<Nietzsche, F. : Daybreak :thoughts on the prejudices of morality, trans. by: R. J. Hollingdale. Cambridge University Press, First published, Cambridge ،United Kingdom,1997,P:3>>

(٣) فريدريش نيتشه: الفجر، ص٨، ١٥.

(٤) فريدريش نيتشه: جينالوجيا الأخلاق، ترجمة:فتحي: المسكيني، دار سيناترا، المركز القومي للترجمة، تونس، ٢٠١٠، ص

المعتادة والعادات المقدرة..... بهذه التنهيدة سيخرج المرء من أعمالي بنوع من الرعب والريبة بخصوص الأخلاق" [١].

أما " في كتابه "جينالوجيا[*] الأخلاق" أو أصل نشأة الأخلاق فيطرح "نيتشه" سؤالًا رئيساً وهو " ما هو الأصل الذي ننسب له أفكارنا حول الخير والشر؟ في محاولة لقراءة الظاهرة الأخلاقية بالتنقيب عن أصولها، ومعرفة منابعها، فالجينالوجيا عند "نيتشه" تعني الكشف عن نشأة الأخلاق التي نعرفها، أي التنقيب عن تلك المصادر السحيقة القدم التي تشكلت في تربتها، ومن ثم الحكم على تلك الأصول والمنابع، في محاولة لتوضيح الأصول الإنسانية للقيم، ليدحض بذلك الآراء التي ترد الأخلاق إلى أصول ميتافيزيقية[٢].

وفي كتاب "هكذا تكلم زرادشت" كان استخدامه لشخصية "زرادشت" في الأساس مرتبطًا بفكرة الأخلاق عامة، و فكرتي الخير والشر بصفة خاصة، وهو نفسه شرح لنا هذا المغزى في كتابه "هوذا الإنسان" فيقول :

"لا أحد سألني، وكان علي المرء أن يسألني عما يعنيه على لساني، أي على لسان اللا أخلاقي[**]الأول، اسم "زرادشت" : ما كان يمثل الطابع الفريد الهائل لهذه الشخصية

---

(١) فريدريش نيتشه: أنساني مفرط في إنسانيته، ص ٩.

(*) الجينالوجيا هي : مصطلح مشتق من الكلمة اللا تينة (Genealgia) التي تعود إلي الأصول اليونانية (genealogos)، وهي تتكون من مقطعين (Genea) ويعني الأصل، والمقطع الثاني (logos) والذي يعني العلم، ويدل الفعل (Genealogein) على الأصول وتعددها، وقد أصبحت الجينالوجيا تدل بصفه عامة على سلسلة من الأسلاف تربطهم قرابة نسبية ويفترض إنها تنحدر من أصل مشترك واحد.

<< An Etymology Dictionary of the English Langue ,Art. "philology " ,p:439

وأيضاً:احمد عبد الحليم عطية نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، سلسلة أفكار فلسفية، دار الفارابي، الطبعة الأولي، بيروت، ٢٠١٠، ص ٣٠٤، ٣٠٣. >>

(٢) فريدريش نيتشه: جينالوجيا الأخلاق، مقدمة المترجم، ص١٨، ١٧.

(**) مفهوم اللا أخلاقية :Immoralism: إن مفهوم اللا أخلاقية عند "نيتشه" من المفاهيم التي كانت مثاراً لسوء الفهم، فهي في الحقيقة لا تشير إلى أي نوع من التحلل من القواعد والمبادئ الأخلاقية أو الدعوة إلي نوع من الهمجية والإباحية في علاقات الناس بعضهم ببعض، ولكنها في الحقيقة تشير إلي ثورة علي الأوضاع الأخلاقية السائدة، فالناقد الصحيح للأخلاق عند "نيتشه" لا يمكن أن يكون غير أخلاقي أي أنه يقف من الأخلاق السائدة موقف المخالف أو العاصي، لأن هذا الموقف يعبر عن اعتراف ضمني بالقيم التي تعبر عنها هذه الأخلاق، أما " نيتشه" فيري انه لا أخلاقي بمعني أنه لا يعترف أصلاً بالقيم السائدة ويحاول مراجعتها، أنه لا يعترف بما يسمي خيراً أو شراً، ويتخذ له موقف يخرج عن نطاق القيم الشائعة، وينظر إليها من الخارج فحسب. إن اللا أخلاقية في حقيقتها هي نقد للحالة الذهنية التي تتملك الإنسان حين يكون أخلاقياً أي حين يخضع سلوكه لمبادئ وقواعد عامة وينتقد النتائج المترتبة علي هذا الإخضاع أكثر من كونه نقد لمضمون هذه القواعد.

<< انظر: زكريا إبراهيم : نيتشه، ص ١٠١، ٩٧، ٩٦، ٨٣>>

الفارسية عبر التاريخ هو بالضبط نقيض هذا الذي نحن بصدده الآن. لقد رأى "زرادشت" في الصراع القائم بين الخير والشر العجلة التي تحرك الأشياء، والقول بأن الأخلاق لها قوة ميتافيزيقية، وإنها قوة وغاية في حد ذاتها إنما هو من صنيعه_أي "زرادشت" _ لقد أبتدع زرادشت هذا الخطأ الشنيع؛ وبالتالي كان عليه أن يكون أول من يعترف بهذا الخطأ"(*)(١).

كان "نيتشه" في حقيقة الأمر يرفض بشدة تلك النظرة المطلقة للأخلاق التي سادت الحضارة الغربية، هذه النظرة التي تؤمن بأنه لا يوجد إلا معيار واحد أو قانون واحد للأخلاق هو الصحيح منذ الأزل وهو الذي يسري على البشر أجمعين، وهذا المعيار لا يسري على نحو عالمي فحسب، بل إنه مستقل عن العصر وعن الموقع الجغرافي والتقاليد والعرف والقانون، وبالرغم من أن هذا المذهب يدرك أن المعايير الأخلاقية مختلفة في كل زمان ومكان، إلا أنهم يفسرون ذلك وفقًا لقاعدة "العلم "و"الجهل"، ولكن يظل هذا القانون الصحيح مطلقاً وثابتاً ومستقلاً عن الزمان والمكان.

ويرى "نيتشه" هذه الفكرة ذات أصول سقراطية وأفلاطونية وقد ألقت بظلالها الوخيمة على تاريخ الفكر الغربي كله، وقد ساهمت المسيحية في تثبيت هذه الفكرة؛ فالإيمان بإله واحد يحكم الكون الذي خلقه، ولما كان هذا الإله عاقلاً، تظل أفكاره وأوامره متسقة مع ذاتها على الدوام، وأيضًا تصبح هذه القوانين شاملة وتنطبق على الناس جميعًا في كل مكان، وعلى ذلك فإن تباين المعايير الأخلاقية التي نلاحظها من مكان إلى مكان ومن عصر إلى عصر لا يمكن إلا أن يكون راجعًا إلا إلى الجهل بإرادة الله، ولو كان الناس جميعًا يعرفون الإرادة الإلهية، لكان لهم جميعًا القانون الأخلاقي نفسه، ولوصف الجميع الأشياء نفسها بأنها "خيرة" و الأفعال نفسها بأنها "صالحة"(٢).

(*)<< I have not been asked, as I should have been asked, precisely what he name of Zarathustra means in my mouth, in the mouth of the first immoralist: for what constitutes the tremendous historical uniqueness of that Persian is precisely the opposite of this. Zarathustra was the first to see in the struggle of good and evil the true wheel in the working of things — the translation of morality into the metaphysical, as force, first cause, end-in-itself, is his work. But this question is basically already the answer. Zarathustra created this most fateful of errors"

<<CP. : Nietzsche, Friedrich: Ecce Homo," WHY I AM A DESTINY, 3>>

<<CP. :Nietzsche, Friedrich: The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:145>>

(١) فريدريش نيتشه: هذا هو الإنسان، ترجمة :علي مصباح، منشورات الجمل، الطبعة الأولي، ألمانيا، ٢٠٠٨، ص ١٥٥.

(٢)هنتر ميد:الفلسفة أنواعها ومشكلاتها،، ص٢٦٤_٢٦٦.

وكما رفض "نيتشه" من قبل فكرة الحقيقة المطلقة يرفض وبشده فكرة الأخلاق المطلقة، فيقول: "**إن الأخلاق في كونها تدين بالمطلق وليس بالقياس إلى الحياة أو مراعاة الحياة، هي خطأ جوهري لا يوحي بأية شفقة، ويتعلق بمزاج منحط**"(١).

يحاول "نيتشه" أن يربط القيم بالحياة (*) _كما ربط الحقيقة بالحياة في صيرورتها وتغيرها _ فيقول:

" **عندما نتحدث عن القيم فإنما نتحدث بوحي، نتحدث عن الحياة عينها:إن الحياة هي التي تحملنا على وضع القيم، إن الحياة هي التي "تُقوَّم" من خلالنا في كل مرة نضع فيها قيمًا**"(**)(٢)

وبما أن للحياة مطالب متجددة، وهي لا تخضع لصيغ منطقية جامدة وليس لها صورة واحدة ومطلقة يقال إنها تثبت على اتجاه واحد، فبالتالي ستحمل الأخلاق والقيم السمة المتغيرة نفسها، ويعبر "نيتشه" على لسان "زرادشت عن هذه الفكرة قائلًا: "**هذا ما علمتني إياه الحياة يوماً، و أنا بهذا التعليم أهتك أسرار قلوبكم، أيها الحكماء أقول لكم: ليس هناك خير دائم أو شر دائم**" (٣).

ثم يحاول "نيتشه" أن يدلل وبأكثر من طريقة على نسبية الأخلاق، نذكر منها ما يلي:

---

(١)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٤٢.

(*) يوضح "نيتشه" في كتابه جينولوجيا الأخلاق أن الهدف الرئيس له لم يكن البحث عن أصل الأخلاق أو قيمة الأخلاق، ولكن الأمر يتعلق على وجه الخصوص بقيمة الشيء "اللاأناني"، وغرائز الشفقة، وإنكار الذات، والتضحية بالنفس، تلك الغرائز التي تعود " شوبنهاور" أن يؤلهها ويتعالي بها إلى العالم الآخر، إلى حد لم يبق له في آخر المطاف إلا "القيم في ذاتها"، والتي على أساسها قال لا للحياة، ولنفسه هو ذاته أيضاً، بيد أن هذه الغرائز هي الخطر الأكبر على الإنسانية، بما فيها من إغراء وتغرير، ولكن نحو ماذا، نحو العدم إلى اتجاه مضاد للحياة.. المرض الأخير الذي بدأ يقود ثقافتنا الأوربية نحو العدمية. وقد أرجع "نيتشه" هذه المشكلة إلى أربعة فلاسفة هما "أفلاطون"، و"إسبنوزا"، و"لاروشفوكو، و "كانط".

<<انظر: فريدريش نيتشه: جينالوجيا الأخلاق، ص ٣٧>>

(**)" When we talk about values we are under the inspiration ،under the optic ،of life: life it self forces us to positive values, life it self evaluates through us, when we posit values"

<<CP. : Nietzsche, F: Twilight of the Idols ،Morality As anti_nature, 5>>

<<CP. : Nietzsche, F: The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:,174175>>

(٢) فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٤١.

(٣) فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، " الانتصار على الذات"، ص ١٤٤ & فؤاد زكريا :نيتشه، ص ٥٩، ٥٨.

أولًا: تغير الخير والشر باختلاف الزمان والمكان:

يبدأ "نيتشه" بالتدليل على نسبية الخير والشر من خلال التدليل على اختلاف فكرة الخير باختلاف الزمان والمكان، فيتحدث على لسان "زرادشت" قائلًا:

" **لقد شاهد زارا كثيرًا من البلدان وكثيرًا من الشعوب فنفذ إلى حقيقة الخير والشر، وعرف أن لا قوة في العالم تفوق قوتهما، وتحقق من أنه ليس شعب على الأرض تحلو له الحياة دون أن يخضع النظم والسنن لتقديره، وأن كل شعب يرى من واجبه، إذا أراد الحياة، أن يجيء بتقدير مختلف عن تقدير من يجاوره من الشعوب، وهكذا كل ما يراه أحدهما خيرًا يراه الآخر دناءة وعارًا... ذلك ما عرفته، فكم من عمل اتشح العيب في بلد، رأيته مجلًا بالشرف والفخر في بلد آخر، ولم أر جارًا تمكن من إدراك حقيقة جاره، بل رأيت كلًا منهما يعجب لجنون الآخر وقسوته**" [١].

وفي موضع آخر يتحدث عن اختلاف معنى الخير والشر باختلاف الزمان أيضًا فيقول: " **غير أنه قد مر زمان من قبل كان له خير وشر هما غير خير هذه الأيام وشرها**"[٢].

إن "نيتشه" يحاول أن يؤكد أن ما نسميه نحن خيرًا قد يكون شرًا بالنسبة إلى غيرنا، وأن أحكامنا على الظاهرة الواحدة كثيرًا ما تتغير، وبالتالي ففكرة الخير المطلق أو الشر المطلق فكرة واهمة لا مدلول لها[٣].

ثانيًا: الخير والشر ابتكار إنساني وليست أوامر إلهية:

" **لقد أقام الناس الخير والشر، فابتدعوهما لأنفسهم، وما اكتشفوهم ولا أنزلا عليهم بهاتف من السماء. لقد وضع الإنسان للأمور أقدارها ليحافظ علي نفسه، فهو الذي أوجد للأشياء معانيها الإنسانية**"[*][٤]

---

(١) فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، "ألف هدف وهدف"، ص٨٣.

(٢) فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، "المجرم الشاحب"، ص٦٣.

(٣) فؤاد زكريا :نيتشه، ص ٩٨.

(*)"Indeed, humans gave themselves all of their good and evil. Indeed, they did not take it, they did not find it, it did not fall to them as a voice from heaven"

<<CP. : Nietzsche, F. : Thus Spoke Zarathustra," On a Thousand and One Goals", P:42>>.

(٤) فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ألف هدف وهدف، ص ٨٥.

يحاول "نيتشه" أن يتصدى لفكرة المصدر الإلهي للأخلاق، أو وجود ما يسميه "نيتشه" (النظام الأخلاقي العالمي the moral world order)، ويقصد به وجود إرادة إلهية تعين ما الذي يجب أن يفعله الإنسان وما لا يجب أن يفعله، وأن قيمة شعب أو شخص في كثير أو قليل تقاس بمقدار طاعة الإرادة الإلهية، وكيف أن مصير شعب أو شخص يكون متوقفاً على تلك الإرادة كمُحاكم أو كمُعاقب أو مُجازي، وبحسب درجة الطاعة(١).

ويزداد الأمر سوءاً حين يتدخل الوسطاء، ويقصد بالوسطاء الفلاسفة ورجال الدين الذين يؤيدون هذه الفكرة، بل ويشبههم "نيتشه" بالأفاعي فيقول: "هكذا تقول الأفعى.. الخير والشر هما من أحكام الله المسبقة"(*)(٢).

وتكمن خطورتهم في أنهم يرسمون طريقاً للإنسان، ويحددون أفعاله تحت عبارة " **يجب على الإنسان أن يفعل هكذا أو كذلك**"(**)، ليس ذلك فحسب بل إنهم يعتبرون هذه الأوامر

---

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص ٧٧.

(*)"Good and evil are the prejudices of God, said the snake"
<<CP. : Nietzsche, F. : The Gay Science ,P: 150. >>

(٢) فريدريش نيتشه: العلم الجذل، ص ١٤٦.

(**) كان "نيتشه" يقصد في هذه العبارة توجيه النقد لطبيعة الأخلاق عند كانط، إذ يعتبر "كانط" من أشهر الفلاسفة العقليين في ميدان الأخلاق، فهو أولاً يربط بين القانون العقلي والقانون الأخلاقي، ويري أن القوانين الأخلاقية لها صفة الإلزام ليس بالنسبة إلي الأفراد أو الإنسان الجزئي، بل تلزم كل كائن عاقل بوجه عام، فالقاعدة التي تأمرنا بعدم الكذب مطلقاً لا تتعلق بأحوالنا العارضة، بل تنطوي علي ضرورة ذاتية بها تصير هذه القاعدة ملزمة لكل كائن عاقل، كما استخدم "كانط" أيضاً فكرة "الأمر المطلق Categorical Imperative" للدلالة علي القانون الأخلاقي الأعلى، وهذا القانون غير مشروط، ولا يقبل استثناءات، ومطلق، لأنه لا يكون بأية حال نسبياً تبعاً لغاية أُخرى، واللا أخلاقية عنده تنطوي دائماً علي تناقض منطقي، كما أعتقد "كانط" أن جميع أمثلة الشر يمكن أن ترد بدورها إلي أمثلة لانعدام الاتساق المنطقي، وهكذا يصبح قانون عدم التناقض هو المبدأ الأساسي في الأخلاق كما كان دائماً بالنسبة للمنطق.

انتقد "نيتشه" كانط" أكثر من موضع في مؤلفاته، وفعلي سبيل المثال في "أفول الأصنام" يصفه بأنه" أشد كسيح الفكر دمامة على الإطلاق"، في "عدو المسيح" انتقد "نيتشه" "كانط" وفلسفته العقلية عامة، والجانب الأخلاقي فيها، واعتبره سبباً من أسباب انحطاط الفلسفة الألمانية، خاصة فكرة "الأمر المطلق" عند "كانط" إذ يقول" كيف لم يشعر "كانط" بخطورة الأمر المطلق؟ إن "الفضيلة"، و"الواجب" و"الخير لذاته" بصفات غير فردية، قيمة عامة، تعتبر هلاوس يُعبر بها عن الانحطاط والإرهاق النهائي في الحياة.. ينحط الشعب عندما يؤسس واجبه عبر فكرة الواجب العام، فليس ثمة ما يدمر أكثر عمقاً وأكثر عتواً من الواجب اللاشخصي. "

<< انظر: هنتر ميد:الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ص٤١٩، ٢٦٨، ٢٦٧. & عبد الرحمن بدوي: الأخلاق عند كانط، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩، ص٣٥، ٣٤& فريدريش نيتشه: أفول الأصنام، ص٧٣& فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص ٤٠_٤٢>>

صادرة عن الإله ذاته وبالتالي أي خروج عن تلك الأوامر هو خطيئة، لابد أن يتراجع عنها ويغير حياته وفقًا لها[١]

إن "نيتشه" يرى في هذا الاعتقاد نظرة تحد من حرية الإنسان وقدرته وتجعله دائما في حالة من الانقياد والتبعية والخنوع لهذه الأفكار، وهو هنا يهدم هذه الفكرة ويؤكد للإنسان أنه خالق هذه القيم، فلو أدرك الإنسان أنه خالق هذا البناء الشامخ للقيم، لأدرك أنه بمقدوره أن يغيرها، ليس ذلك فحسب، بل يجعل "نيتشه" أيضًا قدرة الإنسان على ابتكار الخير والشر لنفسه أحدى القدرات الإبداعية التي تميز الإنسان الحر فيقول:" **إنك تدعو نفسك حرًا..... هل بوسعك أن تسن لنفسك خيرها وشرها فترفع إرادتك شريعة تسود أعمالك؟ هل بوسعك أن تكون قاضيًا على نفسك وأن تكون منتقمًا منها لشريعتك؟**[٢] عندئذ فقط تستطيع أن تتحرر وتتخلص من سباتك الدوجماطيقي وتنادي قائلًا: "**إن حكمي هو حكمي أنا، وليس لغيري حق فيه، بكل بساطة على المرء أن يتخلص من الذوق الردئ الذي يريد الاتفاق مع الأكثرية، إن "الخير" لا يعود خيرًا إذا تفوه به الجار فكيف يكون هناك خيراً عاماً ! إن اللفظ يناقض نفسه**" [٣].

إن الحرية الحقيقية عن "نيتشه" هي التي تجعل الإنسان يتخلص من كلمة "يجب عليك" حتى يستطيع أن يقول كلمة" أريد". [٤]

ثالثًا: الخير والشر والتطور الفيلولوجي(علم فقه اللغة)[*]**:**

بعدما حطم "نيتشه" الأساس المطلق للأخلاق، وأكد أن الأخلاق هي اختراع إنساني، يحاول أن يبحث في أصول هذا الاختراع، وكيف اكتسب تلك الهالة من القداسة والسلطة التي تحكمت في حياة الإنسان لأزمنة طويلة.

---

(١) فريدريش نيتشه: أفول الأصنام، ص٤١.

(٢) فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، " طرق المبدع"، ص ٨٥.

(٣) فريدريش نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص ٧٣

(٤) فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، التحول في ثلاث مراحل"، ص ٤٧.

(*) الفيلولوجيا philology :هي علم اللغة المقارن Comparative linguistics، هو فرع من فروع علم اللغة أو اللسانيات التاريخية التي تركز على مقارنة اللغات لتحديد الصلة التاريخية بينها مثل القرابة الوراثية الأصل المشترك للغة، و تهدف علم اللسانيات المقارن أو علم اللغة المقارن إلى بناء العائلات اللغوية، و إعادة بناء مجتمع اللغات السابقة و تحديد التغيرات التي أدت إلى ظهور اللغات بالشكل الذي تكون عليه في كل منطقة من أجل الحفاظ على سلامة المصطلحات و إعادة البناء، و تهدف لتكوين أسر اللغات لإعادة تأسيس اللغة الأم.
<< An Etymology Dictionary of the English Langue ,Art. "philology " ,p:439>>

لقد نفى "نيتشه أولًا أن يكون لمفهوم الخير والشر أصل في العالم الماورائي والمفارق للتجربة الإنسانية في الحياة، بل يحاول أن يبحث عن أصول الخير والشر في ارتباطهما بالأرض والإنسان والتاريخ، ويحاول توضيح أن خطأ الفلاسفة كان في غياب ذلك الحس التاريخي، لأنهم يعتقدون بأنهم يشرفون شيئًا حينما يفصلونه عن التاريخ والتغير والصيرورة، في حين أن كل شيء نتج عن الصيرورة (*)، وليس هناك من معطيات خالدة[١].

وتحت تأثير كونه في الأساس "فيلولوجياً" متميزاً، رأى في الفيلولوجيا الأداة الفعالة القادرة على فك رموز النص الأخلاقي، إنها العلم الذي يستطيع تفسير النشاطات الفعلية التي تتحكم في الظاهرة الثقافية، فهو لا يهتم بالكلمات، ولكنه يبحث عمن يملك سلطة الكلمات، وبناء على ذلك يطرح لنا أمام كل حكم أخلاقي مجموعة من الأسئلة لم نعتد عليها مثل: من يفرض الكلمة؟ على من يفرضها ويطبقها؟ وماذا يبغي من وراء ذلك؟

ومن خلال إجابته عن هذه الأسئلة ينشأ مشروع لتحليل لغوي واشتقاقي للتسميات الخاطئة، ويكشف عن كم من التحريف والتأويل الذي خضعت له الأحكام الأخلاقية على مر العصور[٢]، ويصبح السؤال الجديد الذي نريد الإجابة عنه هو :

" **في أية ظروف ابتكر الإنسان لنفسه هذين التقويمين، أعني الخير والشر، و أية قيمة لهما في ذاتهما؟ وهل قاما بعرقلة تطور الإنسان حتى الآن أم العكس؟ هل هما**

(*) نيتشه وفكرة الصيرورة: الصيرورة "Becoming "هي انتقال الشيء من حالة إلي أخري أو من زمان إلى أخر، وهي مرادفة للحركة والتغير من جهة كونهما انتقالاً من حالة إلي أخري، كالانتقال من الوجود بالقوة ألي الوجود بالفعل، وقد برزت فكرة الصيرورة في الفكر اليوناني القديم علي يد "هيراقليطس" الذي كان له تأثير كبير في فكر "نيتشه" وكان من أشد المعجبين به، إن "هيراقليطس أول من نفي ازدواجية العالم والتميز بين العالم الفيزيقي، والميتافزيقيي، وعارض الرأي الشائع بأن كل شيء ثابت ومكتمل ومستمر، بينما نري في الواقع أن النور والظلام والمرارة والعذوبة يرتبط كل منهما بالأخر. إن العسل بالنسبة لهيراقليطس هو مر وحلو في الوقت نفسه، والعالم هو نفسه كأس تحتوي علي الأضداد، يجب تحريكه باستمرار، إن كل صيرورة تولد من صراع الأضداد، والصفات المحددة التي تبدو لنا دائمة لا تعبر إلا عن التفوق المؤقت لأحد المصارعين، ولكن ذلك لا يوقف الصراع، فالصراع يستمر إلي الأبد.

<< انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، "مادة:الصيرورة"، (ج١)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ٧٤٨& فريدريش نيتشه: الفلسفة في العصر المأسوي الإغريقي، ٥٤_٥٦>>

(١) عبد الرازق بلعقروز: نيتشه ومهمة الفلسفة، مطابع الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٠، ص١٥٤.

(٢) المرجع نفسه، ص١٦٣، ١٦٢.

علامة الضيق والافتقار الشديد والانحطاط، أم على العكس دليل الكمال والقوة وإرادة الحياة والشجاعة، والثقة في مستقبل الحياة؟"(*)(١).

إن هدف البحث الفيلولوجي والجينالوجي للأخلاق الذي قام به "نيتشه" هو محاولة لإرجاع القيم إلى أصولها، ثم تحديد قيمة تلك الأصول، وبالتالي ستتحول مشكلة أصل الأخلاق إلى قيمة الأخلاق، ومقولتا الخير والشر اللذان كانا أصلين أوليين تُقيَّم من خلالهما الظواهر؛ فتزداد أو تضمحل قيمة الإنسان أو الشيء من خلالهما، أصبحا الآن عبارة عن تقويمين يبحث لهما عن أصل(٢).

رابعًا: الخير والشر يرتبطان بالطبقات العليا :

" إن أخلاقيتنا الحالية قد نبتت على أرض الأعراق والطبقات المهيمنة"(**)(٣)

كانت الأسئلة الجديدة التي طرحها "نيتشه" قد فتحت مجالات كثيرة للبحث عن الأصول الحقيقة لقيمتي الخير والشر، ونتج عن هذا البحث إجابات متعددة ومتنوعة، جمعت فيما بينها عنصرًا هامًا، وهو مدى ارتباط فكرة إصدار القيم بالطبقات العليا في المجتمع، تلك الطبقات التي طالما ما كانت تطمح في السيادة والسيطرة.

ويعبر "نيتشه" عن هذه الفكرة قائلًا: "إن النوع الرفيع من الناس يشعر بأنه "هو" الذي يحدد القيمة، ومن هنا لم يعد في حاجة أن يسمى بالخيّر، وإنما يصدر حكمه على هذا النحو: "إن ما هو ضار بي هو ضار في ذاته"، أي أنه يعرف أنه هو الذي يضفي على الأشياء ما لها من شرف، فهو "خالق القيم"(٤).

(*)" soon transformed my problem into another: under what conditions did man invent the value judgments good and evil? and what value do they themselves have? Have they up to now obstructed or promoted human flourishing? Are they a sign of distress، poverty and the degeneration of life? Or, on the contrary, do they reveal the fullness, strength and will of life, its courage, its confidence, its future?

<<CP. : Nietzsche, F. :On the Genealogy of Morality, trans. by, Carol Diethe , Cambridge University Press, First published, 2006, P:5>>

(١) فريدريش نيتشه: جينالوجيا الأخلاق، ص٣٤.

(٢) عبد الرازق بلعقروز: نيتشه ومهمة الفلسفة، ص١٦٤.

(**) " Our present morality has grown up in the soil of the ruling tribes and castes. "

<<CP. : Nietzsche,F. : Human ،All Too Human,P: 37>>

(٣) فريدريش نيتشه: إنساني مفرط في إنسانيته، ص ٤٦.

(٤) فريدريش نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص ٢٤٨.

وهذا النوع الرفيع هو من يطلق عليهم "نيتشه" طبقة السادة الذين يجدون لذة في التميز عمن يسودنهم، أو التابعين لهم، ومن هنا نجد أنفسنا بين نوعين من الأخلاق : أخلاق السادة وأخلاق العبيد.

وحقيقة الأمر لم يكن "نيتشه" يقصد بالسادة أو العبيد المعنى القريب السائد من الناحية الطبقية، ولكن أخلاق السادة تتصف قبل كل شيء بأنها أخلاق للأقوياء، فيها دائمًا ما نشعر بالقوة والوفرة، وبالسمو الناشئ من الإحساس بالامتلاء، والقيمتان الأساسيتان في هذه الأخلاق هما "الجيد والرديء"، والتقابل بينهما يماثل التقابل بين الوضيع والرفيع. وفيها يحدد السادة معنى "الخير"، هنا لا يكون الفعل "خيرًا" أي "طيباً"، ولكن يكون مقياس أخلاقية الفعل هنا هو أنه يعبر عن روح القوة التي يستشعرها المرء في ذاته، وأنه يلائم تلك النفوس الزاخرة التي تشعر بأنها هي مانحة القيم وخالقتها، فإذا ما صدر عنها الخير، فهو لا يصدر عن خوف أو إكراه أو ضغط، إنما يصدر عن إحساس قوي بالوفرة والامتلاء، وعلى الجانب الآخر نجد طبقة الضعفاء أو العبيد الذين يخضعون لشرائع السادة، ودائما ما يشعرون أنهم في حاجة إلى غيرهم(١).

إذن فكل ما يقال من تقديرات بأن هذا العمل خير أو شر وهذا حق أو باطل كلها أحكام ترجع في تقديراتها إلى ما يفرضه الأقوياء (أسرة_ معلمون_ مشرعون _فلاسفة_ رجال الدين) ويقبل به الضعفاء، في حين أن الشر يكون في الخروج على كل هذه الأحكام وهذه الشرائع(٢).

والخلاصة:

إن "نيتشه" يحاول رفض تلك الحالة الذهنية التي تتملك الإنسان حين يكون أخلاقيًا، أي حين يخضع بسلوكه لمبادئ وقواعد عامة وضعت في أحوال وظروف مختلفة ومتغيرة، والعجيب أننا لا نزال نخضع لها بصورة صارمة مهما كانت النتائج المترتبة عليها.

"إن الخير الحقيقي هو كل ما يربي الشعور بالقوة و إرادة القوة، والقدرة ذاتها داخل الإنسان، والشر هو كل ما يتأتي عن الضعف، والسعادة هي الشعور بأن القوة تتنامى، وأن المقاومة يتم تجاوزها، فهي ليست الشعور بالرضي، بل المزيد من القوة، ليس السلام

---

(١) فؤاد زكريا :نيتشه، ص ٩٨.

(٢) عبد الرحمن بدوي :نيتشه، ص ١٨٠.

بأي طريقة، ولكنها الحرب، وليست الفضيلة، بل الكفاءة "فضيلة عصر النهضة. فضيلة بلا أخلاق سطحية وزائفة". (*)(١)

ج. الجدل ودوره في المعرفة

تأثر "نيتشه" بفكرة الجدل أو الديالكتيك (**) عند السوفسطائيين، مقارنًا طبيعة الجدل عندهم والجدل بعد ذلك عند "سقراط" و"أفلاطون"، فيقول "نيتشه" موضحًا طبيعة الجدل السوفسطائى: "**كان الجدل منهجهم الذي امتلأ بروح البهجة الناتجة عن الابتكار الجديد للفكر العقلي، وكانت النفوس في ذلك العصر تمتلئ مرحًا حين يمارس الناس ألعابًا صارمة ومتزنة هي ألعاب الأفكار، و التعميمات، والدحض، حينما كانت الأخلاق لا تعرف أحكامًا ثابتة، أو أحداثًا معينة أو حججًا ما**"(٢).

(*) " What is good? Everything that enhances people's feeling of power, the will to power, power itself.
What is evil(bad)? Everything stemming from weakness. What is happiness? The feeling that power Is growing, that some resistance has been overcome. Not contentedness, but more power; _not_ peace ,but war ؛not virtue, but efficiency""

<<CP. : Nietzsche, F: The Anti-Christ ،2>>

<<CP. : Nietzsche, F: The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:4 >>

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص ٢٥.

(**) الجدل أو الديالكتيكDialectic: هي كلمة يونانية تتكون من مقطعين "Dia"وتعني خلال، و"Lekton"وتعني الحديث أو التفكير، يقصد بها فن المناقشة والجدل وهي المناقشة التي تهدف إلى كشف الحقيقة، والجدل عند المناطقة هو قياس مؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلّمة بصحتها، والغرض منها إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، وقد استعملت بمعانٍ مختلفة طوال الفكر الفلسفي، فعلى سبيل المثال استخدمها "سقراط" و"أفلاطون "باعتبارها أداة الكشف عن الحقيقة، واستخدمها "أرسطو" ليشير إلى الاستدلال القائم على الآراء السائدة، وليس على المقدمات اليقينية كالبرهان، أما المتأخرون من الفلاسفة فقد أطلقوا لفظ الجدل على معنيين:الأول هو القدرة على الاستدلال الصحيح، والثاني هو المراء المتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، والتفنن في إيراد ما لا نفع فيه من البيانات الدقيقة، وفي العصور الوسطى أصبح الديالكتيك يعني المنطق الصوري ويكّون مع الخطابة والنحو الثالث في الفنون الحرة السبعة، وفي العصر الحديث يعني الديالكتيك منطق الخداع، فأطلق "كانط" لفظ الجدل على المقاييس الوهمية، وقال إن الجدل هو منطق الظاهر بخلاف التحليل الذي هو منطق الظاهر، ولكنه أصبح عند هيجل منطق الفكر وقانون الوجود حيث إن المعقول وحده هو الموجود، أما عند ماركس فهو قانون الحركة المادية في الوجود، وبالتالي منهج المعرفة بهذا الوجود المادي.

<< انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، "مادة:الجدل"، (ج١)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٩١-٣٩٤& أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص١٨٦. >>

(٢) فريدريش نيتشه: الفجر، ص٢٦٩.

ولكن هذا الأمر لم يستمر كثيرًا، إذ قتل "سقراط " و"أفلاطون" هذه الروح. الأول"سقراط" الذي يصفه "نيتشه" بأنه "شيطان أثينا العاشق الساخر، ساحر الفئران الذي جعل أشد شبان أثينا غرورًا يرتجفون وينتحبون[١]، وأفرد له جزءًا خاصًا في كتابه "أفول الأصنام" حدد فيه الأخطاء التي وقع فيها، وكان من أهمها"**التضخم في ملكة الجدل**"[٢]، حين ابتكر سحر" العلة والمعلول"، وسحر "السبب والنتيجة" وجعلنا نتعود على هذه الضرورة، وأصبحت فكرة الضرورة وكأنها الذوق العادي.

أما "أفلاطون" فقد تحول الجدل على يديه إلى ذلك "**الفن الرباني**" وأصبح هو الطريق الوحيد التي توصلنا إلى "المثل الأعلى" "مثال الخير"، _الذي يرى "نيتشه" أن لا وجود له على الإطلاق_ [٣]. لقد أراد "أفلاطون" أن يبرهن لنفسه، وبكل ما أوتي من قوة _ وهي أكبر قوة استطاع فيلسوف أن يبذلها حتي الآن _ أن العقل والفطرة يتبعان تلقائيًا غاية واحدة هي "الخير"، ومنذ "أفلاطون" أصبح كل الفلاسفة واللاهوتيين يسير كل منهم في هذا المسار عينه[٤].

لقد نظر "نيتشه" إلى سقراط وأفلاطون باعتبارهما أصل الفساد والانحطاط الذي أصاب البشرية، وأطلق عليهما "الإغريقيين المزيفين" [٥]، ويكمن الخطأ عنده في الطريقة التي استخدما بها المنهج الجدلي، فإذا كان الجدل أو الديالكتيك هو فن المناقشة التي تهدف إلى كشف الحقيقة، فالحقيقة سواء عند " سقراط" أو "أفلاطون" هي قبل كل شيء فكرة، و الفكرة لا يمكن أن تتضح إلا بالجدل، أي بالتحليل النقدي لكل جوانبها، وبذلك يكون الجدل على الطريقة السقراطية والأفلاطونية لا يتناول الأشياء ولا الوقائع، وإنما يتناول التفسيرات المختلفة لها. أنه يسعى إلى الوصول إلى ماهية الأشياء بغير الاعتماد على أي حاسة، بل باستعمال العقل وحده، وهذا ما يظهر في تعريف "أفلاطون" للجدل في محاورة الجمهورية بأنه: **المنهج الذي نرتفع به من المحسوس إلى المعقول دون أن نستخدم شيئًا محسوسًا، وإنما بالانتقال من فكرة إلى فكرة بواسطة فكرة** [٦].

---

(١) فريدريش نيتشه: العلم الجذل، ص٩.
(٢) فريدريش نيتشه: أفول الأصنام، ص ٢١.
(٣) فريدريش نيتشه: الفجر، ص٢٤٢، ٢٦٩.
(٤) فريدريش نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص ١٣٥.
(٥) فريدريش نيتشه: أفول الأصنام، ص١٨.
(٦) أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص١٨٤_١٨٦.

ومن وجهة نظر "نيتشه" أن الجدل بهذا الشكل هو شكل من أشكال استبداد العقل في افتراض غاية أو نتيجة مُقَدمة يسير في طريقها الجدل[١]، وافتراض خاطئ أن ينتج الفهم الصحيح حتمًا عن فعل معقول[٢].

ويدلل "نيتشه على هذا المعنى في كتابة "الفجر" في نص يعرض فيه للفرق بين السوفسطائيين و"سقراط" و"أفلاطون" فيقول:

" ما الذي أحبه في "ثوسيديديسThucydides"[*]، ما الذي يجعلني أقدره أكثر من أفلاطون؟ إنه يبحث عن تلك البهجة الشاملة في نموذج من الرجال أو الأحداث، ويعتقد أن كل إنسان لديه قدر ما من الحس السليم، وذلك الحس السليم هو ما يسعى لاكتشافه. نجد لديه عدالة عملية أكبر من التي نجدها لدى "أفلاطون"، لا يفتري على الذين لا يعجبونه أو الذين أساءوا إليه، ولا يحط من قدرهم. بل على العكس يقوم بإضافة شيء ذي أهمية إلى كل شيء وكل شخص من خلال اعتبارهم كلهم نماذج، فماذا ستستفيد الأجيال القادمة التي يكرس لها عمله من كل ما ليس نموذجًا! هذا هو المفكر الإنسان الذي تزدهر من خلاله الحضارة التي تقوم على المعرفة الحرة: حضارة شاعرها هو "سوفوكليس"، ورجل دولتها هو "بريكليس"، وطبيبها هو "أبقراط"، وعالمها الطبيعي هو "ديمقريطس" [**]. هذه الحضارة التي تستحق أن نطلق على أصحابها أسم

---

(١) فريدريش نيتشه: أفول الأصنام، ص١٨.

(٢) فريدريش نيتشه: الفجر، ص ٩٠.

(*)ثوسيديديس(٤٦٠ ق. م_ ٤٠٠ق. م): مؤرخ إغريقي شهير، صاحب كتاب تاريخ الحرب البلوبونيزية ويعد أول المؤرخين الإغريق الذين أعطوا للعوامل الاقتصادية والاجتماعية أهمية خاصة. ووقع عليه عبء كتابة تاريخ حقبة شاذة من حياة الحضارة التي ترعرع في ربوعها.

(**) هؤلاء الأشخاص كلهم عاشوا في العصر الذهبي لأثينا :

١. سوفوكليس : (٤٩٦- ٤٠٦ ق. م) مؤلف مسرحي يوناني. يُعتبر من أعظم المسرحيين التراجيديين في الأدب اليوناني القديم. وضع نحواً من ١٢٣ تراجيديا شعرية، ومن أشهر هذه التراجيديات «أوديب ملكاً»، و «إلكترا» و أيضاً تراجيديا «آنتيغوني».

٢. بركليس: (٤٩٠ ق. م – ٤٢٩ ق. م): أعظم الساسة في اليونان القديمة، ويعود له الفضل في تأسيس الإمبراطورية الأثينية، فكانت مدينة "أثينا في عهد بركليس مدينة "حيوية ونشطة، حيث نشطت في التجارة والصناعة، كما شجع الفنون على اختلاف أنواعها ، وكان من أصدقائه النحات فيدياس، والكاتبان المسرحيان "أرسطو فانيس" و"سوفوكليس"، وشجع الفلاسفة على المجاهرة بآرائهم مهما بدوا مثيرين للجدل والمناقشة ، من أمثال سقراط الذي لم تبدأ مشاكله إلا بعد وفاة بريكليس بداء الطاعون سنة ٤٢٩ ق. م.

٣. أبقراط (٤٦٠ق. م_ ٣٧٧ق. م): يلقب بأب الطب القديم، عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، وهو من أعظم أطباء اليونان، وهو أول من وضع القسم الذي لا يزال الأطباء يقسمونه إلي الآن.

السوفسطائيين، والتي بمجرد ما نسميها تبدأ مع الأسف في الذبول وتصبح غامضة بالنسبة لنا، لأن أفلاطون وكل المدارس السقراطية قد حاربوها! الحقيقة شديدة التعقيد والتشابك ولا تريد أن تفك خيوطها، فليمض الخطأ القديم (خطأ الحقيقة البسيطة) في طريقه القديم" [١].

إن "نيتشه" يرفض فكرة أن كل شيء يمكن أن يقال بوضوح وتميز ،إفصاح بفضل قوة الحجة والبرهان، لأن الحقيقة لا تقوم في الشفافية ولا في وضوح الأفكار، ولا في النزوع المستمر نحو التسامي والتجريد، ولا في القدرة على الانتقال من فكرة إلى أخري تلزم عنها بالضرورة طبقاً لقواعد المنطق والاستدلال.

إن "نيتشه" يري أن العنصر الرئيس في الجدل والذي ظهر عند السوفسطائيين هو ذلك النوع الذي يرقص مهلاً لأي نتيجة، ولا يمكن أن يتنفس إلا في الأجواء الصحوة والصريحة[٢]، إنه يحاول أن يكشف عن طبيعة الجدل بوصفه فنًا إجرائيًا من بين كل الفنون إنه "فن النقاش"[*] "فن متعة معرفة النفس من خلال الاستمتاع بالاختلاف"[**][٣].

---

٤. ديمقريطس:(٤٦٠ق. م_٣٧٠ق. م): فيلسوف يوناني، ويعد اكبر ممثل لمذهب الذري القديم، أول أن يبرهن أنَّ العالم مكوَّن من عدد غير محدود من الذَّرات، يتحرك في فراغ لا حدود له. وكل شيء في هذا العالم مكوّن من مجموعة مختلفة عن غيرها من هذه الذَّرات، وقد جاء عالمنا من تركيب عَرَضي لهذه الذَّرات. وبسبب وجود عدد غير محدود من الذَّرات، فقد وجدت عدد غير محدود من العوالم. كما انه صاحب مذهباً أخلاقياً اعتنقه من بعده ابيقور وهو يري أن الهدف الأساسي من الأخلاق هو السعادة، وقوام السعادة التحرر من الخوف والقلق، وأن سعادة العقل أهم بكثير من سعادة الحواس.

<< انظر: تشارلز روبنسون: أثينا في عهد بركليس، ترجمة: أنيس فريحة، دار لبنان ومؤسسة فرنكلين للطبع والنشر، بيروت _نيويورك، ١٩٦٦، ص ٤٣، ٤١، ١٧، ١٦. & جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مادة "ديمقريطس"، ط٣، دار الطليعة،، بيروت، ٢٠٠٦، ص٣٠٧. >>

(1)Nietzsche, F. : Daybreak,P: 169.

فريدريش نيتشه: الفجر، ص ٩٠.

(٢) فريدريش نيتشه: مولد التراجيديا: ترجمة :شاهر حسن عبيد، دار الحوار للطبع والنشر، الطبعة الأولى، سوري، ٢٠٠٨، ص ١٧٧.

(*) "Here the dialectic reveals its true nature; an art of quibbling beyond all others, an art of disputing properties and changing proprietors, an art of ressentiment".

(**) " The pleasure of knowing oneself different،" the enjoyment of difference"

<<CP. : Gilles Deleuze: Nietzsche and Philosophy, Trans. by: Hugh Tomlinson, Columbia University Press, USA,١٩٨٣ ,P: 9, 160. >>

(٣) جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، ترجمة : أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣، ص١٤، ٢٠٦.

ثالثًا: هيرمينويطيقا موت الإله عند "نيتشه" :

"أريد أن أُعلم الناس معنى وجودهم ليدركوا أن الإنسان الأعلى إنما هو البرق الساطع من الغيوم السوداء: الوجود الإنساني"(*)(١).

يجمع الوجوديون أن الوجود الإنساني هو العنصر الأساسي والأهم في هذا العالم (٢)، بل هو المحور الذي يدور حوله الفكر الوجودي بأكمله، ذلك الإنسان في وجوده الذاتي والاجتماعي، وفي تحقيقيه لهذا الوجود، ولا يُطرح سؤال حول العالم أو التاريخ أو المجتمع أو الإله أو حول المعرفة أو غير ذلك إلا بمقدار علاقة هذه الموضوعات بالإنسان بشكل عام(٣).

ويتجلى هذا الأمر بوضوح تام في فكر "نيتشه" فلم يكن النقد الذي قام به لفكرة الحقيقة المطلقة والأخلاق سوى إعطاء الفرصة للإنسان ليبدع، إن الهدف الأسمى الذي يسعى إليه "نيتشه": هو الوصول إلى ذلك الإنسان المتفرد والأعلى، فهو يدعو على لسان زرادشت فيقول:"**إنني آت إليكم بنبأ الإنسان الأعلى**"(٤) ذلك الإنسان الذي يتفوق على إنسانيته بالمجاهدة، ويتغلب على الموروثات الموهنة للعزم، ذلك "الإنسان الأعلى" أو"الإنسان المبدع" القادر على إبداع القيم الجديدة بعد أن فقدت كل القيم القديمة قيمتها(٥).

ولكن ظهور الإنسان المتفوق عن "نيتشه" يرتبط بأمر في غاية الصعوبة ألا وهو "موت الإله" فيقول :" **لقد ماتت جميع الآلهة، فلن يعد لنا أمل إلا ظهور الإنسان الأعلى.**"(٦).

وهنا نقف مع "نيتشه لنتساءل من هو الإله أو الآلهة التي ماتت؟ هل كان في حقيقة الأمر يقصد الإله بالمعنى الديني؟ ومن هو ذلك الإنسان الذي يريده وينتظره؟

فيما يأتي سوف نحاول الإجابة عن هذه التساؤلات.

(*)" I want to teach humans the meaning of their being, which is the overman، the lightning from the dark cloud' human being"

<<CP. : Nietzsche. : Thus Spoke Zarathustra,P:12>>

(١) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، ٤١.

(٢) محمد غلاب:الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة، الدار القومية للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٠.

(٣) معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية،، مادة""الوجودية"، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، معهد النماء العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٥١٢.

(٤) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "مستهل زرادشت"، ص٣٣.

(٥) المصدر نفسه:مقدمة المترجم، ص ٧.

(٦) المصدر نفسه:الفضيلة الواهبة"، ص١٠٦.

أ- صورة الإله في مؤلفات نيتشه:

تعتبر شخصية "الإله" هي الشخصية المحورية في فلسفة "نيتشه"، والعبارة الأهم والأشهر في كل فلسفته هي عبارة "موت الإله"، لكن المثير لدي "نيتشه" هو أن استخدامه لكلمة"الإله" جاءت بأكثر من صورة في مؤلفاته، وفي كل مرة كان يربط بين مفهوم الإله وبين فكرة ما.

فعلي سبيل المثال_لا الحصر_ في مؤلفه: "إنساني إلى أقصى حد" يضع في بدايته تساؤلًا يعكس هدفه في نقد وقلب كل القيم المعتادة فيقول " **ألا يمكن قلب كل القيم؟ والخير ألا يكون شرًا، والإله مجرد ابتكار، مجرد خدعة شيطانية، ألا يحتمل أن يكون كل شيء خطأ، إن كان قد تم تضليلنا، ألسنا مرغمين على أن نكون ذلك؟... تلك هي الأفكار تأتي تقوده وتغويه دائماً أبعد، دائمًا على انفراد، والوحدة تحاصره وتحتويه مهددة، خانقة..... آلهة مرعبة، آلهة قاسية الرغبة(*). ولكن من يعرف اليوم معنى الوحدة؟**[١]..... **وألا يزال هناك مفكر في حاجة إلى افتراض إله ما؟**[٢].

وفي مؤلفه "الحكمة المرحة" يروي لنا "نيتشه" قصة المجنون الذي أضاء مصباحًا في الضحى ومشى في السوق باحثًا عن الإله، ليعلن لنا بعد ذلك أن "**الإله قد مات**" لا لم يمت ولكنه "**قُتل**" **ونحن الذين قتلناه؟**(**) (٣)..

وفي "هكذا تكلم زرادشت" يؤكد هذا المعنى فيقول :" **أنه لأمر مستغرب، ألا يسمع هذا الشيخ أن الإله قد مات؟** [٤]وفي موضع آخر يقول : "**لقد ماتت جميع الآلهة، ولن يعد لنا أمل إلا ظهور الإنسان الأعلى**"[٥]

(*)"that terrible goddess ,and mater saeva cupidinum"

.الجزء الثاني من العبارة "كتب باللغة اللاتينية وهذه العبارة تعني"أم" الرغبة القاسية، والمقصود مصدرها

<<CP. : Nietzsche,F. : Human ،All Too Human ,P: 7>>

(١) فريدريش نيتشه: إنساني مفرط في إنسانيته، ص ٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(**) " I'm looking for God..... ' '!Where is God?' he cried; 'I'll tell you !We have killed him - you and I! We are all his murderers"

<<CP. : Nietzsche, F. : The Gay Science ,P: 119,120. >>

(٣)فريدريش نيتشه:العلم الجذل، ص ١١٨.

(٤) فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، "مستهل زرادشت"، ص ٣٢.

(٥) المصدر نفسه:الفضيلة الواهبة"، ص١٠٦.

ومن جانب آخر كان "نيتشه" قد أطلق على أحد مؤلفاته اسم "أفول الأصنام Twilight of the Idols " موضحًا أن الإنسانية أصبحت تعيش على عبادة الأصنام، فهناك أصنام تؤمن بها البشرية، وقد حان الوقت أن يهوي عليها بمطرقته [١].

ومرة أخرى يظهر مؤلف جديد " لنيتشه"" هو خصم المسيح "The Anti-Christ ليكمل باقي عنوان الكتاب ب"A Curse on Christianity "أي أسباب شقاء المسيحية، وبالرغم من أن مضمون العمل لا يكشف هذا الأمر، وفيه يعلن الحرب على ما أسماه " الغريزة اللاهوتية theologian instinct" ومن يجري في عروقهم الدماء اللاهوتية، فيقول:

"**إنه من الضروري أن نقول من هو الذي نشعر بأنه عدو لنا؟ أنهم رجال اللاهوت، وكل من يحملون في أجسادهم دمًا لاهوتيًا. إنهم كل فلاسفتنا**"[(*)].

وفي موضع آخر يقول:" **أه من هؤلاء الألمان كم أثقلوا علينا ! جعلوا كل شيئاً باطلاً.. حركة الإصلاح، و"ليبنتز" و"كانط" وما يدعي فلسفة ألمانية.... أعترف بأن أولئك الألمان هم أعدائي وأنا أجاهر بذلك**" [(**)][٢].

وهو بذلك يربط بين المسيحية والفلسفات العقلية عامة، والفلسفة الألمانية عند "ليبنتز" و"كانط" بوجه خاص.

وفي مؤلفه "هذا هو الإنسان" يعلن صراحة **أنه لن يشيد أصنامًا جديدة... بل مهمته تحطيم الأصنام**" [(*)] مشيرًا إلى أن هناك قيمًا قدستها البشرية شوهتها وأصبحت تقف حائلًا أمام تقدم الإنسانية ولذا وجب تحطيمها[١].

---

(١)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٦، ٧.

(*)"We need to say whom we feel opposed to- theologians and everything with theologian blood in its veins- the whole of our philosophy"
<<CP. : Nietzsche, F. : The Anti-Chris "8. >>
<Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:7>>

(**) Oh, these Germans, what they have cost us! In vain - that was always the work of the Germans. - The Reformation؛ Leibniz; Kant and what people call 'German philosophy'……I confess it, these Germans are my enemies. "
<<CP. : Nietzsche, F. : The Anti-Chris "61. >>
<<CP. : Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:65 >>

(٢)فريدريش نيتشه:عدو المسيح، ص ٣٤_٣٩، ص١٨٤، ١٨٣.

(*) ""I won't be setting up any new idols …… Knocking over idols"
<<CP. : Nietzsche, F. : Ecce Homo, 2. >>
<<CP. : Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo , Twilight of the Idols, ,P:71. >>

هذا بالإضافة إلى ما قدمه من نقد للمسيحية في مؤلفه "إرادة القوة" مع نقد الأخلاق والفن والسياسة، باعتبارهم صورًا من صور العدمية، ومظهراً من مظاهر الانحطاط [٢]، وأيضًا مؤلفه "جينالوجيا الأخلاق" الذي يتحدث فيه عن صورة الزاهد في انتقاد أيضًا لصورة الفيلسوف والكاهن الذي يفرض آراءه على البشر باحثًا عن الفلاسفة الحقيقيين، هؤلاء القادرين على أن يقولوا لا لكل ضرب من ضروب الاستعباد"[٣]

إن هذا التعدد والتنوع في الشكل إنما يدل على أن فكرة الإله لم تكن تحمل المعني القريب علي الأذهان المرتبط بالدين _وان كان لا يستثنيه_ ولكن تحمل دلالات وإشارات أعمق بكثير. إن القراءة المتأنية لنيتشه تكشف أنه لم يكن فيلسوفاً كغيره من المفكرين والفلاسفة، بل كان صاحب طريقة تخصه هو وحده، فهو يتكلم بشكل رمزي، فكل كلمة لها معنى خفي يريدنا أن نبحث عنه، إنه يضع قارئه دائمًا في حالة من التساؤل والريبة، ولا يطرح أمامه حقيقة أو مبدأ يريد اتباعه سوى أن يدفعه أن يكون قادرًا على التفكير والنقد، فكل شيء عند "نيتشه" خاضع للتأويل.

إن "نيتشه" بصفته الفيلسوف الطبيب الذي يشخص مرض عصره، وجد أن هناك مرضاً واحداً له العديد من الأعراض والعلامات : "فكرة القداسة المطلقة" التي أصبحت سمة أساسية في كل الفلسفة والعلم والدين والأخلاق وكل مظاهر الحياة، وكلها تزعم أنها تحقق السعادة للإنسان، لقد رسمت حولها هالة من القداسة، دخلت محراباً واختبأت فيه، وأقامت لنفسها حراساً ومدافعين، ولا لم يعد للإنسان أمامها سوي أن يخضع ويقبل، وشيئاً فشيئاً أصبح يحمل علي عاتقه عبء المحافظة عليها والالتزام بها[٤].

ومن هنا تتضح دعوة "نيتشه" الأساسية التي يخفيها تحت "قناع" موت الإله: كيف يتحرر الإنسان من كل سلطة خارجية، كيف يكون هو من يسن لنفسه أوامره ونواهيه ولا يستقيها من أي مصدر خارجي.

ب- "موت الإله" ومبادئ الفكر الوجودي:

إذا كنا قد عرفنا فيما سبق أن الوجود الإنساني وكل ما يختص به هو الركيزة الأساسية التي يدور حولها الفكر الوجودي، فمن الطبيعي أن نجد لفكرة الإلوهية مكانًا وسط كتابات الوجوديين بوصفها فكرة ميتافيزيقية جوهرية تلعب دورًا هامًا في تاريخ الموجود البشري[٥].

---

(١) فريدريش نيتشه: هذا هو الإنسان، ص ٨.
(٢) فريدريش نيتشه:إرادة القوة، ص
(٣) فريدريش نيتشه:جينالوجيا الأخلاق ص ١٥٦.
(٤) جيل دولوز :نيتشه، ص٢٥، ٢٤.
(٥) زكريا إبراهيم :مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، القاهرة، ب ت، ص :١٧١.

لقد أدركت الوجودية بجناحيها الديني واللاديني الارتباط العميق بين الموجود البشري وفكرة الإله، وتناولت هذه العلاقة من منظور جديد حاولت فيه التأكيد على أهمية ذلك الموجود الفردي والتأكيد على حريته وعلاقته العينية بالعالم الأخلاقي الإنساني، وليس من جانب إيمانه أو عدم إيمانه بوجود كائن متعال يجاوز العالم الحسي، وهو المعني الذي تتخذه الأُلوهية في معظم المذاهب الميتافيزيقية؛فالوجودي عندما يتحدث عن "الإله" لا يتحدث عنه علي أساس برهان عقلي يثبت وجوده أو ينفيه، بل كنتيجة للتفكير في معنى الوجود الإنساني عندما يستكشف هذا الوجود حتى أبعد حدوده [١].

ويتحدث "نيتشه" عن هذا الأمر فيقول : ". **فيما مضي كان الشك لا يتبدد حين ينقض الملحدون ما يقدم إليهم من "براهين علي وجود الله"، لأنهم لم يستطيعوا العثور علي براهين أفضل من تلك التي نقضوها، ذلك لأن هؤلاء الملحدون لم يكونوا متقنين... فيما مضي كان الناس يحاولون إثبات أنه ليس هناك إلهاً، أما اليوم فنبين كيف نشأ هذا الإيمان بوجود الله، وكيف صار له وزن وأهمية، وبهذا أصبح البرهان المضاد علي عدم وجود الله غير ذي جدوى**"[٢].

وأيضاً جانب آخر يظهر فيه الخلاف بين "نيتشه" وعلم اللاهوت الكلاسيكي، ففي الوقت الذي يعتمد فيه علم اللاهوت الكلاسيكي على إثبات الإله المفارق كعلة غائية[*] بالأدلة والبراهين المنطقية؛ يرى "نيتشه" إنه ليس من حقنا أن نبحث في طبيعة الوجود لكي نصل به إلى علة أولى ترد إليها كل مظاهر الوجود[٣]، فاعتبار أن كل ما يحدث صادرًا عن كائن كلي، وأن كل ما يحدث يسير بشكل ممنهج وخاضع لنظام ما، يخلق في الإنسان رغبة تواقة إلى الاحترام والإعجاب تَسبح في هيمنة وتحكم هذا الكائن العلوي، وكنتيجة لذلك يشعر

---

(١) جون ماكوري :الوجودية، ترجمة :إمام عبد الفتاح، مراجعة :فؤاد زكريا، دار الثقافة للطبع والنشر، القاهرة ١٩٨٦. ص ٣٦١.

(٢) فريدريش نيتشه:الفجر، ص٧٠.

(*)الغائية (Teleology) :الغاية بشكل عام هي:"ما لأجله وجود الشيء"، وتطلق على الحد النهائي الذي يقف عنده العقل، وقد تطلق على الغرض وتسمى "علة غائية" وهي ما لأجله كان إقدام الفاعل على الفعل، وهي أساسية لكل فاعل يفعل بالقصد والاختيار. الغائية الفلسفية:فهي تبحث في الغايات النهائية للعالم ككل وللموجودات كأفراد، وتقوم هذه الفلسفة على أساس القول بأن الكون أو بعض أجزائه على الأقل يتجه نحو تحقيق غاية معلومة.

<< Dagobert D. Runes: The Dictionary of Philosophy, Art:" Telelogy", Philosophical Library,Inc. NweYork, ,1998 ,P:315.. >>

(٣) مراد وهبه: نيتشه وعلم اللاهوت، مجلة الملتقى، المغرب، عدد ١٦، مايو ٢٠٠٧، ص٢٧.

الإنسان باتحاد كبير مع ذلك الكائن الكلي العلوي وبتبعية له، وبالتالي يفقد الإنسان إيمانه بذاته و قيمته، ويفقد أي قيمة لأفعاله مادام هذا الكائن الكلي العزيز كامناً وراء تصرفاته [١].

يرفض "نيتشه" هذه الفكرة فيقول :" **من العبث أن نريد أن ندفع وجودنا الذاتي إلى قصدية ما بعيدة، نحن من اخترعنا مفهوم "الغاية"، أما في الواقع فالغاية غائبة. نحن جزء من القدر، نحن جزء من كل، نحن كائنون في هذا الكل لا شيء يمكن أن يحكم على كينونتنا أن يزنها، وأن يقارنها، أن يدينها على أن خارج الكل ليس شيئًا هناك، ألا يكون أحد مسئولًا أبدًا، وألا يرجع بنمط الوجود أبدًا إلى "علة أولى قبلية"**[(**)][٢].

إن "نيتشه" وفقًا لهذا المعنى يؤكد أحد الأهداف الأساسية للوجودية ألا وهي فكرة أن "**الوجود يسبق الماهية**" التي عارض من خلالها فكرة الماهيات الثابتة التي تبنتها الفلسفات التقليدية أو الفلسفات الماهوية " Essentialist Philosophy "[(*)]، كانت هذه الفلسفات

---

(١) فريدريش نيتشه:أرادة القوة، ص٥٥.

(**) " it is absurd to want to devolve human existence onto some purpose or another. We have invented the concept of 'purpose': there are no purposes in reality... A person is necessary, a person is a piece of fate, a person belongs to the whole, a person only is in the context of the whole, there is nothing that can judge, measure, compare, or condemn our being, because that would mean judging, measuring, comparing, and condemning the whole... But there is nothing outside the whole I- The fact that nobody is held responsible any more, that being is not the sort of thing that can be traced back to a causa prima

<<CP. : Nietzsche, Friedrich: Twilight of the Idols" the four great errors" "8. >>

<<CP. : Nietzsche, Friedrich: The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:182>>

(٢)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٥٥.

(*) الماهية " Essence" :هي أمر عام أو كلي لأنها مجموع الخصائص النوعية التي لا تخص فرداً، وإنما تخص النوع الذي ينطوي تحته أفراد، فإذا قلت "الإنسان" مثلاً فأنت أمام ماهية هي الحيوانية والنطق (الجنس القريب والفصل) وفقاً لتعريف تقليدي يرجع إلى "أرسطو"، ولا تخص تلك الماهية فرداً بعينه_فلان أو فلان_وإنما تتحقق في جميع أفراد النوع الإنساني بحيث نرى النوع "إنسان" في كل الأفراد، وقد رأى الفلاسفة منذ القدم أن موضوع الفلسفة هو البحث عن الماهيات أو المعاني العامة، فسقراط كان يحاول البحث عن معاني الفضيلة والعدالة والحكمة أي يبحث عن ماهيات، و"أرسطو" أقر أن لا علم إلا بالكلي. فالماهية هي الأمر الهام في الفلسفة والعلم، وبناءً على ذلك فكل فكر يؤمن بهذا الفكر يندرج تحت ما يسمي"الفلسفات الماهوية Essentialist Philosophy ".

ولكن فلسفات الماهية مختلفة فيما بينها، فتارة تقوم مفارقة في عالم المثل، وعلي غرارها أو بمشاركتها تكون الأشياء والأفراد مثلما هي عند "أفلاطون"، وتارة بعد تجريدها من الأفراد تقوم في العقل الإنساني ولكنها لا تتحقق فيه إلا بعقل فعال مثلما عند أرسطو، وتارة في عقول مفارقة كما هي الحال عند "ابن سينا" أو حتى العقل الإلهي عند القديس أوغسطين، وبالرغم من تعدد هذه الصور إلا إنها كلها تتفق في أن الماهية هي الأسبق والأهم، لأنها بمثابة النموذج الذي يبني علية الأفراد، فالماهية تسبق أولاً كقاعدة في عقل ما ثم يأتي الوجود مضافاً إليها.

<< انظر :محمد ثابت الفندي:مع الفيلسوف، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص٢١٧_٢١٩. >>

ترى أن هناك طبيعة بشرية أساسية تتمثل في كل فرد، وتقرر الحد الأقصى لما يمكنه أن يحققه، والحد الأدنى لما يمكن أن ينحدر إليه، وبناءً على هذه النظرة كانت "ماهية" الإنسان فطرية وموجودة بالقوة عند الميلاد وتتحقق خلال حياته، هذا بالإضافة إلى أن لا شيء مثل البيئة والظروف المحيطة حتى الاختيار الفردي أن يغير هذه الماهية إلا قليلًا.

أما الوجودية فترى أن الإنسان ليست له "ماهية" بهذا المعنى الذي تتكون فيه كإطار يسبق الوجود الفردي والفعلي، فليس شيء اسمه الإنسان بوجه عام أو الجنس البشري بالمعنى التجريدي، إنما هناك فقط "أناس" أفراد يوجدون في زمن معين وموقع معين، يأتون إلى العالم دون أن يحملوا أية ماهية(١)؛ فماهية الوجود الإنساني هي ما هو عليه بالفعل "the essence of an entity is what it is"، فالوجود الإنساني أكثر من مجرد مجموع لأفكار أو صفات واقعة أمام أعيننا(٢).

وهذا الأمر عينه هو ما يؤكد عليه "نيتشه" فيقول:" **ماذا يمكن أن تكون عقيدتنا الوحيدة؟ أنه لا أحد يهب للإنسان مزاياه: لا إله، ولا آباؤه، ولا أسلافه، ولا هو نفسه.... لا أحد يتحمل مسؤولية وجوده وتكونه بهذه الطريقة أو تلك، كونه في هذه الظرف أو ذاك، في هذا الوسط أو ذاك..... لا يمكن أن نستثني الطابع القدري لوجوده**" (٣)(*)

ويرى "نيتشه" أنه في حالة تخلص الإنسان من هذه الفكرة يكون قد تخلص من أهم عائق يعيق تحقق وجوده الحقيقي فيقول:

" **هذا هو التحرر الأكبر ومن هنا فقط نسترد برائه الصيرورة... لقد كانت فكرة الإله حتى الآن الاعتراض الأساسي ضد الوجود... أننا نجحد الإله.. ننفي المسؤولية عن الإله بهذا فقط نُخلص العالم** (**)(١).

---

(١) هنتر ميد:الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ص٤٠٩.

(2) Mick, C. : "Existential Therapies", P: 18.

(٣)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٥٥.

(*) يكرر "نيتشه" العبارة نفسها في إرادة القوة فيقول " أما نحن الذين نتمنى أن تستعيد الصيرورة براءتها فتريد أن نكون المبشرين بفكرة أنقي: فكرة انه لا أحد منح للإنسان مزاياه، لا إله، ولا المجتمع، ولا الوالدين ولا الأجداد، ولا هو نفسه، وأن خطأ وجوده لا يتحمله أي أحد ليس هناك كائن يمكن تحمله مسؤولية وجود شخص ما في هاته الظروف أو في هذا الوسط... إننا لسنا نتيجة قصد أزلي، أو نتيجة إرادة أو رغبة"

<<انظر :فريدريش نيتشه:إرادة القوة، ص١٥٩>>

(**) only this can constitute the great liberation, only this begins to restore the innocence of becoming... The concept of 'God' has been the biggest objection to existence so far... We reject God, we reject the responsibility in God: this is how we begin to redeem the world"

إذن فنيتشه هنا ينظر لفكرة الإله ليس من منظور النفي أو الإثبات ولكن من حيث العلاقة بين الإله والإنسان، فإذا كان "الإله" بالمفهوم التقليدي هو الذي يمثل الحد النهائي الذي لا تستطيع قدرة الإنسان أن تتعداه، فهو يتحرر من هذا المفهوم ليجعل الإنسان مسئولًا عن وجوده.

ج- الدلالات الدينية لفكرة "موت الإله":

١- "موت الإله" بين التصور القديم والحديث :

ربما لا يمكن فهم "فكرة موت الإله" بالمعنى الديني عند "نيتشه" إلا من خلال النظر إلى طبيعة الجو الروحي الذي اتسمت به هذه المرحلة التاريخية.

فقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر موجة من الثورات التي اجتاحت القارة الأوروبية، وكان أهمها الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، التي ما لبثت آثارها تجتاح أوروبا، وكانت تنادي بتدمير النظام القديم وجميع الأفكار الموروثة والتقاليد العريقة ولم يقف شيء في وجه أو حرارة المجددين، وبعدما قتل "شارل الأول" في انجلترا (١٦٠٠- ١٦٤٩)، لويس السادس في فرنسا(١٧٥٤ - ١٧٩٣)، و ألغيت الملكية وأعلنت الجمهورية وتم الإعلان عن "إعلان حقوق الإنسان" في أغسطس ١٧٨٩" كانت كل هذه المظاهر بمثابة إعلان عن انهيار البناء الايدولوجي للنظام القائم على أسس الإيمان المسيحي، فلم تكن الثورة مجرد هجوم على الأنظمة السياسية فقط، ولكنها كانت أيضًا هجومًا على الكنيسة بكهنتها وطقوسها باعتبارها السند الأساسي التي كانت تقوم عليه هذه النظم السياسية وخاصة الاستبدادية(٢).

وفي وسط هذه الأجواء ساد في أوروبا تياران كبيران: **التيار الأول:**الذي كان يتجه نحو العلمنة معتمدًا على مجموعة دعائم من أهمها:

أولاً: ما وصلت إليه الاكتشافات العلمية الحديثة، والتي بدأت في التشكيك في العقائد الدينية، كما يظهر في إجابة "لابلاس" عالم الرياضيات الذي سأله "نابليون" عن

<<CP. : Nietzsche, Friedrich: Twilight of the Idols" the four great errors" "8. >>

<<CP. :Nietzsche, Friedrich: The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:182>>

(١)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٥٥.

(٢) فرنسوا جورج دريفوس وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام، ترجمة: حسين حيدر، مراجعة :أنطوان الهاشم، الجزء الثالث، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥، ص٦٢_٦٥.

موقع الإله من منظومة القبة السماوية التي تصورها، فأجابه بأن هذا الافتراض غير موجود [١].

ثانياً: تزامن مع اكتشاف الطباعة وطباعة الكتاب المقدس وانتشاره، وعدم اقتصار تفسيره على طبقة الكهنة فقط، كما تحولت دراسة الكتاب المقدس من دراسة نص مقدس موحى به من الله إلي دراسته باعتباره نصاً تاريخياً بشري بكل ما يحمله التوثيق الإنساني من أخطاء.

ثالثًا: نتائج الأبحاث العلمية التي قدمها "تشارلز داروين" عن تطور الكائن الإنساني عن بعض الحيوانات. وعلى إثر ذلك بدأت في الظهور بعض المحاولات لتطوير المنظومة الأخلاقية خاصة بعد أن كانت معتمدة على الإيمان المسيحي، لتحل محلها منظومة جديدة ولكنها إنسانية، ووجدت في تبني عقيدة "عبادة الكائن الأسمى the cult of the supreme being" التي طرحها "ماكسميليان روبسپيير" (١٧٥٨ –١٧٩٤) أثناء الثورة الفرنسية لتحل محل المسيحية _ متأثرًا بأفكار "جان جاك روسو"(١٧١٢ – ١٧٨٨) و"سان سيمون" (١٧٦٠م_ ١٨٢٥)، "أوجست كونت" (١٧٩٨ – ١٨٥٧) في دعوتهم لدين الإنسانية_ وحاول هؤلاء بالدعوة إلى عقائد دينية شبه قائمة على أسس عقلانية، كما حاولوا تأسيس منظومة أخلاقية لعامة الناس تقوم على مفاهيم التضامن، وعلى نظير الكاهن أصبح هناك المعلم الغيور على مصلحة الآخرين، الذي يلقن تلاميذه في كل مكان مبادئ الثورة وهو المناوئ الرسمي للكاهن[٢].

أما **التيار الثاني**:تيار الإحياء الديني الذي حاول إعادة إحياء المسيحية من جديد بعد ما أصابها، وبعدما أغلقت العديد من الكنائس وصُدرت أموال وأراضي طبقة الكهنة ورجال الدين، وقد وجد هذا التيار من أغلبية البسطاء قاعدة عريضة لهم وتمثلت أهمية هذا التيار في أكثر من جانب[٣]:

أولاً: كان الرجوع إلي أحضان الدين هو الوسيلة للهروب من الجو اللاإنساني العميق والمتعاظم الذي خلفته الطبقة الوسطى الليبرالية، والمجتمع الذي سيطرت عليه بأكمله

---

(١) إريك هوبز باوم :عصر الثورة أوروبا (١٧٨٩_١٨٤٨)، ترجمة :فايز الصباغ، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى٢٠٠٧، ص ٤٠٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٠١٠، ٤٠٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٢٥.

الحسابات العقلانية والطبقات العليا التي شوهت الدين وجعلته على صورتها، فكانت العودة إلى الدين_على حد تعبير ماركس_ بمثابة القلب في عالم لا قلب له، والروح في أوضاع لا روح فيها، لقد كان بمثابة "الأفيون" أو المخدر للناس.

ثانياً: كان الدين بالنسبة لأبناء الطبقات الوسطى محفزًا أخلاقيًا وقويًا ومبررًا لحضورهم الاجتماعي في مقابل ما يكنه له المجتمع التقليدي من احتقار وكراهية.

ثالثاً: وفر الدين الاستقرار الاجتماعي للأنظمة الملكية والارستقراطية، بل لكل أولئك الذين احتلوا قمة الهرم الاجتماعي، وقد تعلموا من الثورة الفرنسية أن الكنيسة هي العماد القوي للعرش، وكان دورهم هو إقناع البسطاء أن يحملوا السلاح للدفاع عن حكامهم وحمايتهم من الكفار الثوريين، بعدما أقنعوهم بواسطة الأتقياء الأمناء أن يقنعوا بحياتهم بما فيها من شقاء تحت مظلة العناية الإلهية، وأن يواصلوا معيشتهم البسيطة المنظمة التي أكسبتهم مناعة ضد عواقب التفكير المدمرة، لأن القبول بمبدأ استبدال الطاعة بالتفكير يعني في واقع الأمر أن النهاية كانت على الأبواب.

رابعاً: كانت جميع حكومات أوروبا منذ عام ١٨١٥ تشجع العواطف الدينية والكنائس باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الدولة ولا يمكن الاستغناء عنها وعن ممارستها شأنها شأن مكاتب الشرطة والرقابة، فكان الكاهن والشرطي والرقيب أهم الأركان التي استندت عليها الاتجاهات المضادة للثورة. لأن تلك العواطف هي التي تحافظ على المجتمع القديم العضوي من التآكل الناجم عن التفكير العقلي واليلبرالية[١].

وكانت هذه الحركة في الجانبين: الكاثوليكي والبروتستانتي، ففي الاتجاه الكاثوليكي كان من خلال تقوية الشكل الكهنوتي وإحياء كتابات الآباء الأوائل، والدعوة إلى الزهد والنسك الزائدين، كما ظهر تيار يدعو إلى العزوبية، وعلى الجانب البروتستانتي ذادت فكرة الإرساليات التي تدعو إلى هذا المذهب الجديد التي لم تكن تقابل بالترحاب، ولكنها كانت تظهر عداء للسلك الكهنوتي وتؤكد على الاتصال المباشر بين الإنسان والله، ولكنها أيضًا كانت تؤمن بمبادئ الخطيئة والخلاص الدينونة، وقد وجدت هذه الإرساليات في البحارة والمزارعين وعمال المناجم والحرفيين وغيرهم تربة خصبة لمبادئها[٢].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٢٥_٤٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٢١، ٤٢٠.

إن كل هذه الأحوال لم يكن فيها من المسيحية شيئًا حقيقيًا، ولكنه الصراع السياسي والرغبة في الاستحواذ على أكبر قاعدة شعبية تضمن الحماية للسلطة السياسية أو الدينية أو الفكرية والفلسفية، أصبح الهدف الأهم، وتزامن ذلك أيضاً مع زيادة سيطرة رجال الكنيسة على الأفراد، وامتلاء الدين بأفكار وغيبيات باتت مسار للسخرية من العامة، و نتج عن كل ذلك عدم وجود اهتمام حقيقي بالإنسان وعلاقته الحقيقة بالله، وهذا الأمر عينه هو الذي كان موضع انتقاد من قبل فلاسفة الفكر الوجودي الدينيين(*) منهم قبل اللادينيين(**)(١)

(*)على سبيل المثال نرى ثورة "كيركجور١٨١٣_١٨٥٥" على المسيحية الشكلية والسطحية، فبالرغم من أن "كيركجور" كان مسيحياً شديد الإخلاص إلا انه كان ثائراً ثورة روحية تأبي الجمود، وتتمرد علي التقاليد، وكانت النتيجة الحتمية لهذه الثورة هو التصادم مع الكنيسة الرسمية بوصفها نموذجاً للجمود؛ لقد كان الهدف الرئيسي الذي كان "كيركجور" يسعي للوصول إليه هو الكيفية التي يجعل بها الإنسان يصير مسيحيًا حقيقياً، ولكن المسيحية التي يريدها ليست هي التي تقدمها الكنيسة الدنماركية، أو التي تدرس في معاهد اللاهوت،. انه يريد الوصول إلي ماهية المسيحية الحقيقية كطريقة للحياة والوجود.

<< Evans, C. S. : "Kierkegaard on Faith and the Self", Baylor University Press , Texas, USA,2006, P: 4>>

(**)ويظهر هذا الاتجاه أيضًا عند الجناح اللاديني بداية من "هايدجر" فنجده يصرح بأن المقدس كان مصدر قوة وإلهام للإنسان القديم، أما نحن معشر المحدثين فليس في إمكاننا فهم ماهية المقدس، بعد اختزاله في الشعائر والطقوس التي هي ذكرى المقدس، وتعبر عن انسحاب الآلهة من العالم، وليس عن حضورها". إن هايدجر يسعى في فلسفته إلى تجاوز فكر الإلوهية كما هي في مفهومها التقليدي الذي يحاول حبس الإله داخل مفهوم الشعائر والطقوس، لكنه لا ينكر بتاتًا الإلوهية باعتبارها أفقًا لخلاص الإنسان، فما ينكره على الإله المسيحي هو كونه إلهًا أخلاقيًا؛ أي باعتباره وجد لغاية هي عملية التشريع للقيم الإنسانية، وبالتالي يبقى وجوده مشروطًا، وهذا حط من ماهية الإله. إن البحث عن الإله ظل شوقًا خفيًا يحرك فكر "هايدجر"، ولم يبرحه عبر كل مراحله، ولكنه أراد أن يقيمه على أرضية مختلفة، إذ يرى أن التفكير في ماهية المقدس لن يكون إلا بناء على حقيقة الوجود، و بناء على ماهية المقدس يمكن أن نفكر في الإلوهية، وليس إلا في ضوء ماهية الإلوهية يمكن التفكير وقول ما يجب أن تعنيه كلمة إله"

وسارتر أيضًا الذي لو أمعنا النظر في فلسفته نجد أنها في نهاية المطاف تتحول إلى "علم اللاهوت Theology" لا إله فيه، ونجد أنها في صميمها عبارة عن فلسفة رجل متدين فقد إيمانه بالله، ولكنه لم يفقد نزوعه نحو الله، ومن ثم فقد بقي في أعماقه فكرة حنين غامض نحو ذلك "الموجود" الذي أحال غيابه كل فلسفة سارتر إلى جو قاتم لا بارقة أمل فيه، إن فلسفة سارتر هي عبارة عن حوار قوامه التحدي والتمرد مع ذلك "الغائب الأزلي" الذي ظل شبحه يحاصر الإنسان الوجودي

<< إسماعيل مهنانة: "نحو لاهوت بل إله: المقدس والدين في فلسفة هايدجر":فصل في كتاب:فلسفة الدين:تجميع وتحرير:علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٢، ص٣٣٧-٣٣٩& زكريا إبراهيم :مشكلة الإنسان، ص :١٩٢>>

(١) كوستي بندلي: إله الإلحاد المعاصر، منشورات النور، بيروت، ١٩٦٨، ص أ–ب.

كل هذه الأمور دفعت الفلاسفة إلى البحث عن تصور جديد للإله، تصورًا مخالفًا للصورة المتداولة آنذاك للإله، يتماشى وطبيعة العصر ويتخلص من كل مظاهر الخرافة والسلطة والسيطرة.

ومن هذه النقطة يبدأ "نيتشه" ؛فهو يرى أنه علي الرغم من التطور الذي حققته أوروبا في مختلف الميادين، إلا أن هذا التطور لم يصل إلى المجال الديني، بل على العكس ما زالت تعيش تحت غطاء من السذاجة الدينية[١]، لقد رأى أن الدين انتقص من مفهوم الإنسان، وجعل مصلحة الكائن الأعلى تقتضي إهمال الفرد لذاته واحتقاره لغرائزه ولجسده، وجعل كل دوافعه تنبع من الخوف والأمل والثواب والعقاب، والتبعية لوصايا كهنوتية يُزعم أنها أوامر إلهية، وبث "ضمير " مزيفًا محل البحث والمحاولة:كأن ما يجب علينا فعله أو عدم فعله قد تم تحديده مسبقًا، وأصبح دورنا أن نؤمن ونقبل[٢].

وقد عبر "نيتشه" عن هذا الأمر قائلًا: " **إنني أرى من فوق، من الأعلى، ما هو أكثر غرابة بين كل الأعمال : دينًا مبتدعًا، محشوًا بالأخطاء، بل خالقًا وبعبقرية تلك الأخطاء المؤذية التي تسمم الحياة والقلب**" [٣]**.... وراء أكثر الأسماء قداسة وجدت أشد الميول تدميرًا ؛ لقد أطلقوا اسم الرب على ما يضعف، وعلى ما يصيب بعدوى الضعف، وجدت أن الإنسان الصالح** "**إثبات ذاتي للانحطاط.... لقد أطلقوا اسم الرب على مقاومة القدر _على إفناء الإنسانية وإفسادها..... لا يجب التلفظ باسم الرب عبثًا**"[٤].

إن الاعتراض الحقيقي الذي يوجهه "نيتشه" للمسيحية هو انتقاد للممارسات التي تقوم بها السلطة الدينية ورجال الكنيسة ومن شأنها التقليل من كرامة الإنسان، في انتقاده لما أسماه "وسائل المسيحية" فها هو يقول :

" **واعتراضي على وسائل المسيحية هو أن هذه_ أي المسيحية _ ينقصها تلك الغايات المقدسة ؛ فثمة غايات رديئة فقط : تسميم، افتراء، إنكار للحياة، احتقار الجسد، حط وتقدير ذاتي للنفس عبر مفهوم الخطيئة، وبمقدار سوء هذا فوسائلها سيئة وشريرة**"(*)[١]

---

(١) فريدريش نيتشه: الفجر، ص ٧٠.

(٢) فريدريش نيتشه:إرادة القوة، ص١٦.

(٣) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص١١٠.

(٤) فريدريش نيتشه:إرادة القوة، ص٦٩.

(*)The fact that 'holy' purposes are lacking in Christianity is my objection to its means. Only bad purposes: poison, slander, negation of life, hatred of the body, the degradation

إن الأمر الأساسي الذي يرفضه "نيتشه" ويحاربه في المسيحية هو كل ما رآه يضعف الإنسان، وهو يصرح بذلك قائلًا:

" **ما الذي نحاربه في المسيحية؟ رغبتها في تحطيم الأقوياء، وتثبيط همتهم واستغلال ساعات ضيقهم وضجرهم، وتحويل يقينهم المتعاظم إلى قلق وعذاب للضمير، وبراعتها في جعل الغرائز النبيلة مسمومة ومريضة، إلى أن ينقلب ضدها قواها وإرادتها للقوة _إلى أن يهلك الأقوياء من فرط احتقارهم لذاتهم وبسبب معاملتهم القاسية التي يفرضونها على أنفسهم**"(٢).

من خلال ما سبق نري أن "نيتشه" لم يرفض الإيمان بالإله، ولم يتحدث عن شيء يخالف المسيحية أو ينافي الروح الدينية، ولكنه يريد أن يتغلب على ملامح الضعف _كما رآها_ من أجل أن تتأكد قوة الإنسان، إن "نيتشه" يبحث عن روح تتجاوز المسيحية وتعلو عليها، فأقصى ما يريده أن يعلو ويتفوق بالإنسان إلى نهار جديد وعالم جديد يؤكد فيه إرادة القوة، تلك الإرادة التي تمكنه من العلو فوق إنسانيته الحاضرة(٣).

٢- نقد الإيمان المسيحي:

"**الروح المتطلعة إلى الأشياء العظيمة هي بالضرورة روح شاكة**(*)"(٤)

يبدأ نيتشه في تحليل ونقد الإيمان المسيحي الذي تقدمه الكنيسة والذي يرى أنه أحد الأسباب التي كان لها تأثير سلبي في أوروبا وعلى العالم كله(٥)؛ فالعقيدة المسيحية التي تقدمها لنا الكنيسة في حقيقة الأمر هي نقيض لما أرادته المسيحية الحقيقية في بدايتها،

---

and self-violation of humans through the concept of sin – ،consequently its means are bad as well.

<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Chris "56. >>

<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:56 >>

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص١١٠.

(٢) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ١٢١.

(٣) عبد الغفار مكاوي :"مدرسة الحكمة_مقال: قدر المفكرين الحزين"، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧. ص ١٩٨_١٩٠.

نقلاً عن :صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٣٣٨، ٣٣٧.

(*) " A spirit who wills greatness and also wills the means to it is necessarily a sceptic. "

<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Chris "54. >>

<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:53>>

(٤) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص١٥٥

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٥.

الأشياء والأشخاص عوض عن الرموز، والتاريخ بدلًا من الوقائع، والصيغ والطقوس باعتبارها أركان العقيدة عوض عن ممارسة الحياة[١].

لقد أصبح الإيمان المسيحي هو" التضحية بكل ما للروح من كبرياء ويقين ذاتي"(٢)، أصبح مرادفًا "للشفقة Pathos"، و معبرًا عن إغلاق الأعين دائمًا عن كل ما يقابلها حتى لا تعاني من رؤية الباطل الذي لا يمكن أيضًا أن يعالج، ومنه تنشأ أخلاقيات وفضائل القداسة تجاه كل الأشياء، وتزرع فيه أن فضائل الرضوخ والاستسلام هي الضرورية واللازمة لحفظ الحياة. (٣)

لقد طلبت المسيحية من الناس الإيمان ولا شيء غير الإيمان، ورفضت بغضب طلب الحجج، حاولت جاهدة أن تظهر نجاحات الإيمان، وتوحي للناس أنهم سيشعرون بميزة الإيمان وإيهامهم بأنه بواسطة هذا الإيمان ستأتيهم السعادة. إن هذا ما يطلق عليه "نيتشه" "إيمان **العقول المستعبدة the faith of the fettered spirits** "، إيمان تغيب عنه الحجج، أو يعتبر أن البحث عن تلك الحجج أمرًا مخجلًا. [٤]

ويعبر "نيتشه" عن هذا الأمر فيقول: "**لقد فعلت المسيحية كل ما في وسعها لتحيط نفسها بدائرة مغلقة، وأعلنت أن الشك شكل من أشكال الخطيئة، إنها تنادينا لنقذف أنفسنا في بحر الإيمان دون مساعدة من العقل، من خلال معجزة، ونسبح فيه كما نسبح في عنصر شفاف لا لبس فيه، وتكفي نظرة واحدة نلقيها على اليابس، أو مجرد التفكير في كوننا لا نوجد إلا لنسبح، لجعلنا نرتكب خطية! يجب أن نلاحظ بأن هذا يجعل دلائل الإيمان وكل تفكير في مصدر الإيمان شيئًا مُدانًا. إنهم يطلبون منا العمى والانتشاء**"[٥].

إن "نيتشه" يرفض هذا الوضع ويقول إننا عشنا طوال هذه الفترة مخدوعين، عشنا سجناء هذه المعتقدات، عشنا في وهم مصدره أن العقيدة موحى بها من قبل الإله، وبناء عليه أصبح دورنا أن نؤمن ونقبل، فبفضل الرب ومنته جاءتنا تلك العقائد، وما علينا سوى أن نتلقاها بالإيمان والعرفان[٦].

---

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ٨٦

(٢) فريدريش نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص

(٣) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٥٣، ٣٥.

(٤) فريدريش نيتشه: أنساني مفرط في إنسانيته: ص ١٢٩.

(٥) فريدريش نيتشه: الفجر، ص٦٥.

(٦) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ٩٥.

إن دعوة "نيتشه" الأساسية هي دعوة إلى "القوة" التي تتجلى في التحرر من كل صنف من العقائد، في قوة الميل إلى الأسئلة التي لا يملك أحد الشجاعة أن يسألها، الشجاعة تجاه الأشياء الممنوعة وضرورة التهيؤ لمصاعب التساؤل[١].

ومن هذا المنطلق يتوجه "نيتشه" بالنقد إلى بعض الجوانب التي يتضمنها الإيمان المسيحي، ويرى أنها تتعارض مع إرادة القوة لديه، وفيما يأتي سوف نقوم بمناقشة بعضها كالآتي:

أ- صورة الإله في المفهوم المسيحي:

يرفض "نيتشه" مفهوم الإله في المسيحية، إذ يرى أنه يمثل البغض الشديد للحياة ويمثل انتقاد الحياة واحتقارها"[٢]؛ فالمسيحية صورت الإله" باعتباره إله المرضى[*]، إله العنكبوت [**]، الإله كروح خالص[***]، تلك المفاهيم التي جعلته يظهر بصورة مناقضة

---

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٢٢.

(٢) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ٨٤.

(*) "God as a god of the sick".

مفهوم المرض عن "نيتشه" لا يقصد به المرض العضوي، ولكن المرض الحقيقي عن "نيتشه" هو عدم القدرة على التفكير والتسليم الأعمى للأفكار أو الإيمان الديني، والدليل على ذلك أن مفهوم الصحة المقابل للمرض هو القدرة علي النقد فهو يقول في مؤلفة إرادة القوة " أن المسيحية تتعارض كل الحركات الفلسفية والفكرية وتنحاز إلى البلداء، وتمتلئ بالحقد على الموهبين والعلماء والمستقلين فكريًا، لأنها تحرز لديهم الصحة القوية والسيادة، وفي "عدو المسيح" يتحدث "نيتشه عن هذا الأمر قائلاً: " تقوم المسيحية كذلك في مناقضة لكل عقلية حسنة التكوين، إنها تستفيد فقط من العقل المريض بوصفه عقلًا مسيحيًا..... الإيمان :فيه ما يقيم منه شكلًا مرضيًا، وكل الطرق المستقيمة الشريفة العلمية التي تقود إلى المعرفة هي هكذا يجب أن تكون مرفوضة من المسيحية كطرق ممنوعة.... الشك وقد صار خطية"ومن جانب آخر يوضح "نيتشه" ملامح القوة والصحة فيقول : عبر الشك تتجلى العزيمة والحرية المتأتية من القوة ومن فرط قوة النفس.

<< انظر: فريدريش نيتشه:إرادة القوة ص ١٠٥& وعدو المسيح : ص١٥٥، ١٥٤، ١٤٩، ١٤٨. >>

(**) "God as spider"

إن استخدام "نيتشه" لصورة العنكبوت يشير إلى أكثر من دلالة : أولها يرتبط بالأدب الديني في الفكر الغربي وفيه يشير العنكبوت أحيانا إلى الشيطان الذي ينصب شباكه ليقع فيها المؤمن، وتارة أخرى يستخدم ليشير إلى الحالة السيئة التي وصلت إليها الإنسانية، ولكن "نيتشه" يستخدم هذا الرمز ليدل على أكثر من معنى:

١. أشار "نيتشه" في" جينالوجيا الأخلاق" إنه يصارع ما أسماه العنكبوت الكوني أو " the great spider's web of causality" في إشارة صريحة إلى أن "نيتشه" يقاوم فكرة السببية والغائية التي تمنع الكينونة من تقدير نفسها بدون علة أولى.

للحياة بدلًا من أن يكون تجليها الممجد وأزليتها الموطدة، وأصبح مفهوم الإله هو الأداة التي يعلن من خلالها العداوة للحياة وللطبيعة وإرادة الحياة [١].

ويتضح لنا ماذا يقصد "نيتشه" حينما نقارن بين تصور بين مفهوم الإله في المسيحية ومفهوم الإله في اليونان القديمة التي يراها "نيتشه" نموذجًا لتمجيد قوى الطبيعة للإنسان، والتي تُعلي من قيمة الأرض والمحسوس، وتلح على أهمية العالم المعيش؛فالديانات الوثنية تهدم الهوة بين الإنسان والإله، وتحول البشر إلى أنصاف آلهة، وتحول الآلهة إلى أنصاف بشر، ومن جانب آخر ارتبطت هذه الديانات بثقافة الغناء والرقص والإنشاد والموسيقى، وكانت هذه الاحتفالات عند نيتشه أهم بكثير من التفكير النظري في الآلهة وذاتها وطبيعتها.

أما المسيحية واليهودية فقد خلت من هذا الطابع الاحتفالي، وميزت بين الآلهة في السماء والإنسان في عالم الفناء، كما نظرت إلى الآلهة من موقع السادة، ونظرت إلى المتدينين من موقع العبودية، وبهذا رسخت فكرة العبودية، وجعلت منها أبلغ تعبير عن التدين، وهذا بالتحديد ما يهاجمه "نيتشه"[٢].

---

٢. يشير نيتشه إلى طبيعة العناكب في "زرادشت " باعتبارهم مستودعًا لعواطف الانتقام في إشارة لفكرة العقاب التي ارتبطت بالفعل الديني والأخلاقي، كما يشير إلي العناكب باعتبارهم الداعين لفكرة المساواة التي يرفضها "نيتشه".

٣. استخدم "نيتشه" العناكب ليشير بها إلى مجموعة من الفلاسفة الذين يرفض أفكارهم مثل "بارمنيدس" المنادي بالثبات ووحدة الوجود، وأفلاطون المنادي بعالم المثل، وكانط وفكرة "الواجب " وأخيرًا شوبنهاور وتشاؤمه المريض وعزوفه عن الحياة.

٤. قد أشار إلى نوع من العناكب السامة التي تتغذى على دماء ضحاياه ويقصد بهم نوع من الكهنة الذين يسيطرون على البسطاء بسلطانهم وسلطتهم.

<< Constâncio, J. :As the spider spins: Essays on Nietzsche's Critique and Use of Language, Walter de Gruyter press, Germany,2012,p:2-4.

قارن: فريدريش نيتشه:جينالوجيا الأخلاق ص ١٥٦.

وأيضاً: فريدريش نيتشه:عدو المسيح، ص ١٠٦.

وأيضاً: فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "العناكب"، ص ١٢٦. >>

(***) "God as spirit"

فكرة الروح الخالص من أكثر الأفكار التي يرفضها "نيتشه"، فهو يرفض كل ما هو مجرد مؤكدًا على أن "الروح الخالصة كذبة خالصة" إن هذه العبارات في حقيقتها نقداً لمفهوم الألوهية بداية من أفلاطون و سبينوزا وكانط " وشوبنهاور، وقد ورثتها المسيحية.

<<انظر: فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص ٤٩. >>

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٥٨

(٢) عبد الرازق بلعقروز: نيتشه ومهمة الفلسفة، ص٩_١١.

ب- صورة الإنسان في المفهوم المسيحي:

ينتقد "نيتشه" صورة الإنسان كما صورتها المسيحية، فهو يرى أن المسيحية شنت حربًا لا هوادة فيها ضد صورة الإنسان القوي الذي ينشده "نيتشه"، وفي المقابل حشدت كل وسائلها لخلق هذا النمط المعاكس ذلك الذي يطلق عليه : "**الحيوان الداجن، حيوان القطيع، الحيوان المريض المدعو إنسانًا مسيحيًا**[1](*)(**).

(*) "the domestic animal, the herd animal, the sick animal: man ،the Christian"
<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Chris "3. >>
<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:5 >>

(**) بالرغم من صعوبة وقسوة الألفاظ التي يستخدمها "نيتشه" في وصفه للإنسان المسيحي، فيجب النظر إليها من جانبين:

_ الجانب الأول: وهو الجانب الرمزي : فكل وصف من هذه الأوصاف يشير إلى دلالة معينة :

١. الحيوان الداجن: هو الحيوان الذي يسهل ترويضه وتعويده على نظام معين، وقد شبه "نيتشه" الإنسان الذي يتنازل عن قدرته الأساسية في الإبداع والخلق ليتحول إلى إنسان خانع وخاضع بالحيوان الداجن أو الأليف، وقد عبر عن هذا المعنى في مؤلفه "الفجر" قائلًا " إنه من المقزز هذه العواطف التي يبديها الناس تجاه النباتات والحيوانات، وهم الذين عملوا على إتلافها والقضاء عليها وكأنهم أعداء لهم، إنهم يريدون من ضحاياهم المنهكة والمحطمة أن تبدي لهم مشاعرهم اللطيفة! أمام هذا النوع من الطبيعة ينبغي على الإنسان أن يتحلى بالجدية إن كان بالفعل إنسانًا يفكر، وفي"الحكمة المرحة" يوضح "نيتشه" أنه لا يريد حيوانات داجنة، إنه يريد نسرًا وأسدًا، وفي زرادشت يوضح لنا أن الأسد هو قدرة الإنسان على أن يقول "أنا أريد"، أما النسر فهو أشد الحيوانات افتخارًا، وهو رمز التجدد والشباب والقوة الدائمة.

٢. حيوان القطيع : يتحدث "نيتشه" عن فكرة القطيع في مواضع متعددة "، فنراه يتكلم على لسان "زرادشت" فيقول "إني ما جئت إلا لأخلص خرافًا عديدة من القطيع، وسوف يتمرد الشعب والقطيع عليّ"، لقد رأى "نيتشه" أن العصر الذي يعيش فيه لم يعد فيه سوى قطيع واحد، وكل امرئ يتجه نحو رغبة واحدة، فالمساواة سائدة بين الجميع، ومن اختلف في شعوره عن المجموع يسير بنفسه مختارًا إلى مأوى المجانين" إن نيتشه يرفض أن يكون الإنسان عضوًا منساقًا في القطيع، وهذا الإنسان هو من يصفه "بالإنسان الأخير the last man" ويصفه نيتشه بأنه "أحقر الكائنات"، فاقد كل مثالية، وكل قدرة على التغلب على ذاته، ولم يعد يجرؤ على أمر، ولا يبغي شيئًا، ولا يغامر بشيء، إنه جعل ماضيه بليدًا، وسئم اللعبة(لعبة الحياة)، وخمدت فيه القوة الخلاقة في الطبيعة الإنسانية. إن مثل هذا النوع من الإنسان هو ضد إنسان "نيتشه" الأعلى، حيث إن أهم ما يتسم به هذا الإنسان هو "ازدرائه" لعبادة القطيع".

الجانب الثاني : أن "نيتشه" لم يكن أول من استخدم هذه الأوصاف بل نرى "كيركجور" على سبيل المثال استخدم عبارة "إنسان القطيع" Herd MAN "، فمن وجهة نظر "كيركجور" الناقدة كان يرى أن الآفة الكبرى التي أصيب بها المجتمع آنذاك هي "مبدأ الاجتماع"، وفسر ذلك بقوله إن " مبدأ الاجتماع في عصرنا ليس إيجابيًا بل سلبيًا واصفًا إياه بأنه هروب وتشتت ووهم، لأن سمة هذا الاجتماع أصبحت هي إهمال الإنسان الفرد، وضياع الذات الفردية وذوبانها في الكلي العام. وأشار "كيركجور" إلى رفضه للنظريات الخاصة عن سيطرة الجنس البشري وتفوقه

يرى "نيتشه" أن المسيحية قامت بحرب مستميتة ضد هذا النمط السامي من الإنسانية مبطلة كل غرائزه الأساسية، ومن هذه الغرائز استنبطت ما هو شر وشرير، وتحول الإنسان القوي إلى إنسان مغضوب عليه وهالك[1]. إن أخطر تشويه قامت به المسيحية ضد الإنسان هو فكرة "جعله إنسانًا صالحًا".

ومن هنا يميز "نيتشه" بين نوعين من الإنسان :الإنسان المسيحي المدعو صالحًا والإنسان القوي، ويذكر سمات كل منهما :

على الأفراد" فكونك رجلاً فردياً هذا هو الشيء الذي تم إلغاؤه وإبطاله في هذا العصر من قبل كل الفلاسفة النظريين الذين أربكوا أنفسهم بالإنسانية في إطارها العام، حيث لا حدود ولا معنى على الإطلاق. ففي الإنسانية يصبح الإنسان شيئًا عظيمًا إلى ما لا نهاية، ولكنه في الوقت نفسه ليس شيئًا على الإطلاق". هذا بالإضافة إلى أن هذه النظريات لا تجعل هناك مساحة لمسئولية الفرد، فهي تصل به إلى درجة تجعله ينساق مع الكل ويدخل ضمن الحشود، وهنا يتحول إلى شخصية لا روح لها" Spiritless" تسقط عنها صفة الإنسانية، وتتحول إلى" Herd MAN" أو إنسان القطيع و تكتفي بالسير مع هذا القطيع..

وبعد "نيتشه" نجد "هايدجر" يرى أن ما يسمى بالروح الجماعية على مستوى العلاقات اليومية بين الأشخاص يرجع إلى ما يسمى بالوجود الزائف، فالذات المعبرة عن الوجود اليومي المتعين هي " ذات_الناس - they self" التي تختلف عن الذات الحقيقية التي أمسكت بزمامها بطريقتها الخاصة، وعندما يصبح الوجود المتعين مرتبطًا "بالناس "، يتبدد في الآخرين، ولابد له من العثور على ذاته أولًا، ويتضمن ذلك تداخلًا حتميًا بين الفرد والآخرين، وهي علاقة تحرم الفرد من ذاته الحقيقية، وتجعله خاضعًا لسيطرة الآخرين. إنه يسمى" بالجمهور أو القطيع أو الناس " ويحددون الشكل المباشر للآنية في عالمها اليومي حيث تكون أولًا وقبل كل شيء ما يكونه الناس، إذ إن طابع الوجود اليومي هو "الارتكان إلى الغير"، وهذا الارتكان يظهر في الالتزامات المشتركة للحياة اليومية، ويمتد ليشمل الأفكار، وتصبح بذلك آنية الحياة اليومية كائنًا محايدًا لا شخصيًا يعمل دومًا على إلغاء المسئولية الخاصة لحساب مسئولية مشتركة ليست مسئولية أحد بالذات، ويستبعد الاختيار، ويهبط كل شيء إلى مستوى الوسطية، حينئذ تطمس جوانب الشخصية الحقيقية، ويفرض على الناس التجانس بحيث يختفي من بينهم أي نوع من أنواع الامتياز، فما لا يستطيع هذا النوع تحمله هو الاختلاف.

<< انظر :

- Kierkegaard,S. : Concluding Unscientific Postscript, P:113& Kierkegaard,S. : The Sickness Unto Death, P:89,137.

- فريدريش نيتشه: الفجر، "حيوانات أليفة في البيوت"، ص ١٨٤& فريدريش نيتشه: العلم الجذل، "حيوانات داجنة جديدة" ص ١٣٧،.
- فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت:" مستهل زرادشت"٩، "خطب زرادشت"، ص ٤٨، ٤٤.
- صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص٢٠٢، ٢٠١.
- صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، منشأة المعارف، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص١٩٦، ١٩٥. >>

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٢٨.

- **النوع الأول: الإنسان المسيحي الصالح:** هو ذلك الإنسان الذي تم تعطيل عقله بل إقصاء عقله، وجعل كل دوافعه تنبع من مشاعر الخوف والأمل أو العقاب والثواب، و التبعية لوصايا كهنوتية تزعم أنها تعبر عن إرادة ربانية، وتبث "ضمير" يضع علمًا مزيفًا محل البحث والمحاولة، وكأن ما يجب علينا فعله أو عدم فعله، قد تم تحديده مسبقًا، إنه إقصاء للعقل الذي يبحث عن التقدم ويطمح إليه. [١]هو ذلك الإنسان الذي لا تكمن قيمته في ذاته، بل قيمته تأتيه من كونه يتطابق مع صورة تم رسمها من قبل أحد ما، إنه لا يجيد الحرب ولا يشعر بالريبة والشك، إنه يعيش في حالة من الكسل والهناء الزائف[٢].
- **النوع الثاني: الإنسان القوي :** الذي يراه الكثيرون إنسانًا هالكًا وشريرًا، ولكنه عند "نيتشه" هو النمط الذي يسعى إلى تحقيقه، ذلك الإنسان الذي لديه قوة الميل إلى الأسئلة التي لا يملك أحد الشجاعة اليوم كي يسألها، الشجاعة تجاه الأشياء الممنوعة، وقادر على أن يتهيأ للمصاعب، لهم عيون جديدة ترى ما هو أبعد[٣]. إن القوي عن "نيتشه" هو من يعلم علم اليقين أنه هو ذاته مبدع الحقيقة، ولا أحد سواه له الحق في أن يحدد له خيره وشره.

لقد رفض "نيتشه" تلك المزاعم التي ترى أن الإنسان الكامل ليس هو الذي يضع نفسه في خدمة حياته ذاتها، وإنما هو الذي يقدم حياته قربانًا على مذبح المثل الأعلى، الذي يصبح أقصى طموح له أن يكون على صورته ومثاله، وما يترتب على ذلك من اختلاق الإنسان لأهداف مضللة ذات منطلقات تتنافى مع الطبيعة أو تتعالى عليها، والتي كثيرًا ما يستعيرها من الآخرين دون أن يكون لها أدنى تأثير في حياته ومتطلباتها، وفي هذه الحالة يتلاشى الطموح الهادف إلى إظهار المكنونات التي تنطوي عليها الشخصية، وبدلًا من الإبداع تتشكل الحياة طبقًا لنموذج مسبق يفرض على الطبيعة ويسير وفقًا لها.

إن "نيتشه" يعلي من شأن الفرد الذي لا يضع نفسه في خدمة أهداف لا شخصية، وإنما يرى هدف ومعنى وجوده في ذاته، وفضائله تنبعث من ذاته، وعزه وسلطانه هما غاية نزوعه ومنطلق صراعه، ويؤكد أن الإنسان الحقيقي هو الإنسان الفرد بدوافعه وغرائزه

---

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ٨٤.

(٢) المصدر نفسه ١٧١.

(٣) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٢٢.

المبدعة، ومثل هذا الإنسان هو الذي يضعه "نيتشه" عاليًا، أما أولئك الذين تخلوا عن ذواتهم وراحوا يلهثون خلف المثل العليا فليذهبوا إلى الهاوية[١].

أ- رجال الدين وغريزة الغطرسة اللاهوتية:

وجه "نيتشه" نقدًا عنيفًا إلى رجال الدين، والعجيب في الأمر أن "نيتشه" كان من عائلة انخرط معظم أعضائها في السلك الكهنوتي، فأبوه كان "قسيسًا تقياً وورعاً محبوبًا من التابعين للكنيسة التي كان راعيًا لها، وكان أيضًا جدا "نيتشه" سواء من ناحية الأب أو من ناحية الأم من القساوسة ورجال الدين، وقد أثرت هذه الأسرة الكهنوتية في "نيتشه" نفسه في البداية حتى إنه كان يطمح في بداية حياته أن يصبح "قسًا" في المستقبل، وكان يلقب من قبل زملائه في المدرسة بلقب "القسيس الصغير"[٢] ولكن سرعان ما تحول هذا الطموح إلى هجوم شديد لدرجة وصف فيها "نيتشه" الكهنة أو رجال الدين بأنهم النوع الأكثر رذيلة بين البشر[٣].

<u>والسؤال الآن لماذا؟ لماذا وجه "نيتشه" هذا النقد لرجال الدين ؟</u>

إن "نيتشه" في حقيقة الأمر لا ينتقد رجال الدين فحسب بل، ومن هم على شاكلتهم (الفلاسفة العقلانيين والأخلاقيين) ممن يفرضون فكرهم على العامة، ممن يطمحون لبلوغ أعلى مراتب السلطة، إنه ينتقد كل الأفكار السلطوية التي من شأنها السيطرة على الإنسان والتقليل من قدرته ومكانته، سواء كانت من الجانب الديني أو الفلسفي [٤].

يمكن لنا أن نحدد ملامح وأسباب مهاجمة "نيتشه" لرجال الدين في النقاط التالية:

- **<u>أولاً: الكاهن هو النموذج الراقي للإنسانية:</u>** يرى "نيتشه" أن الرجال الكهنوتيين يشعرون بأنهم هم "النموذج" الراقي للإنسانية، إنه يشعر بوجوده على القمة، وهو التجسد السامي للنوع البشري، وبانطلاقه من نفسه يتخيل هذا الصنف فكرة الشيء "الأفضل" و"الخيّر" و"الحقيقي"، بل ويرى أن الإنسانية ستغدو أفضل إذا ما سارت فقط على الطريق نفسه الذي يرسمه له[٥]. وكنتيجة لذلك سيكون التدرج المؤدي إلى فضائله هو التدرج المؤدي إلى ارتقاء الإنسانية كلها، ولكن في الحقيقة هو التدرج

---

(١) رودلف شتاينر: نيتشه مكافحًا ضد عصره، ص ٦٨، ٦٦.
(٢)عبد الرحمن بدوي : نيتشه، ص ١٨٩.
(٣) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٢٢.
(٤) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ١٩١.
(٥) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ١٤٦، ١٤٥.

الذي سيسمح للناس اعتباره ذلك النموذج الراقي، وفي المقابل ستكون أي أخلاق محالفة لهذا النموذج محط رفض واحتقار واستهجان[١].

- **ثانياً : فكرة السلطة والسيطرة:** فطالما شعر الكاهن بأنه المثل الأعلى والنموذج؛ فالخطوة التالية هي محاولته فرض أفكاره على من حوله، إنه يريد الهيمنة التي تعطيه القوة في أشد أشكالها تطرفًا، تلك القوة المبنية على الكذب[*]، والناتجة عن تصور جديد للحقيقة، ذلك التصور الذي يقوم على مجموعة من الدعائم : أصل مفترض، وقرابة مزعومة مع قوى مثالية عليا (إله) موجودة من قبل، الحالات النفسية التي يثيرها وكأنها قوة لا تقبل المنازعة هي التي تتكلم، بالإضافة إلى الافتراء على المثال الخصم، والإيهام بأن ذلك المذهب وحده، وهذه الطريقة وحدها هي التي نجني منها السعادة وطمأنينة النفس، هذا بالإضافة إلى إمكانية نيل المساعدة من طرف الإله القوي[٢]. تلك الحقيقة التي يروج لها رجال الدين في كل عصر، ولا يوجد سوي طريقة واحدة إلى بلوغها سوى أن تكون كاهنًا.
- **ثالثًا: فكرة الوساطة :** لقد تمادى الكاهن في سلطته واستبداده، فأصبح هو وحده من يمتلك العلم، وهو وحده ممثلًا للنموذج الأمثل في الأخلاق، ولكنه لا يكتفي بذلك بل قد أصبح الآن **الوسيط** بين الإله وبين رعاياه، فكل من يكرمه سيكرم الإله، في المقابل سوف يحل عقاب الإله على كل من ألحق الأذى به وكل من عارض فكره، [٣] وأصبح هو من يملك تقييم كل الأشياء المقدسة : على سبيل المثال يدعو "مملكة الله" على حالة الأشياء التي يقرر هو قيمتها، و"إرادة الله" على تلك الوسائل التي بها

---

(١) المصدر نفسه : ص ٨٢، ٨١.

(*) علي الرغم من اختلاف الاتجاه بين "نيتشه" اللاديني، و"كيركجور" الفيلسوف المسيحي المؤمن، إلا أن كليهما يتفقان في تشخيص المرض الذي تعاني منه الكنيسة والسلطة الدينية والكهنوتية على أنه "الكذب" فنرى "كيركجور " يتحدث في يومياته عن التهمة الرئيسة التي يتهم بها الكنيسة فيقول : التهمة التي أوجهها إلى الكنيسة القائمة هي أن كل شيء يُبني على الكذب : عبادة الله ليست سوى سخرية من الله، والمشاركة فيها جريمة، وفي الوقت ذاته فإنني أود أن أسوق اتهامًا أعظم بأن أبين أن الكنيسة القائمة نفسها تعرف أن كل شيء يقوم على الكذب، وأن هذا هو السبب في عدم القيام بأي فعل. "

<<Kierkegaard, S. , The Kierkegaard Journals (The Last Years) 1853-1855,Trans. by: Ronald Gregor Smith, Harper & Row, 1965,P: 307.

نقلاً عن إمام عبد الفتاح : كيركجور رائد الوجودية، (ج١)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣. ص ٣٢٩. >>

(٢) المصدر نفسه : ص ١٤٩.

(٣) المصدر نفسه : ص ٨١.

يحتفظ بتلك الحالة، وأصبح بدم بارد يحكم على الشعوب، والأزمان، والأشخاص بمقياس مساعدتها أو عرقلتها لتلك السيادة الكهنوتية. لقد أصبحت مخالفة الكاهن والشريعة تعني مخالفة الإله نفسه، ومن جانب آخر تكون وسائط العودة للوفاق مع الإله هي الخضوع للكهنة. فالكاهن وحده هو من يُخلص[١].

- **رابعًا: الكاهن يملك في يديه كل المفاهيم الكبيرة:** باعتباره الوسيط بين الإله وبين رعاياه، فهو فقط من أُعطي مفاتيح المعرفة والفهم، فقد استحوذ على كلمات "الرب" و"يوم الحساب" والحقيقة" و"الحب" والحكمة" ويستخدم هذه المفاهيم ليتحصن بها ضد العالم [٢]، يوجه العامة لاحتقار "الملكة العقلية" و"الأحاسيس" و"الرفعة" و"الرخاء" و"العلم"، ويرى كل هذه الأمور مؤذية ومغوية، وفوقها جميعًا يطفو "الروح " في حرية ذاتية خالصة، تؤيد قيم "الطاعة"، و"العفة" و"الفقر" _مظاهر القداسة الزائفة_ بما تتسبب فيه من أضرار تفوق الحصر أكثر من أي رعب أو فضيلة' فحيثما يصل تأثير أولئك اللاهوتيين، فإن حكم القوة يصبح مقلوبًا: مثل "الحقيقي" و"الزائف" تغدو مقلوبة، فما هو أكثر إساءة إلى الحياة يدعى حقًا، والذي يعلوها ويسمو بها ويثبتها ويبرئها و يجعلها منتصرة يدعى باطلًا[٣].
- **خامسًا: الشعور بالحاجة الدائمة إليه:** لم يكتفِ الكاهن بالسلطة والسيادة، ولكنه أراد أن يشعر الجميع بأهميته وضرورته لهم في جميع أمور الحياة، ولذلك صاغ ما رآه من شرائع، ووضع نفسه بداخلها بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، بطريقة تجعل الكاهن ضرورة لا غنى عنها، في كل مكان وفي كل أحداث الحياة، في الولادة والزواج وفي المرض وفي الموت، حتى في الذبائح هو فقط من له الحق في تقديمها وتقديسها [*]، وبذلك أصبحت كل أمور الحياة في حاجة إليه[١].

---

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٨١، ٨٠، ٧٨.

(٢) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص٩٤.

(٣) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٣٧، ٣٥.

(*) ينتقد "نيتشه" هنا فكرة الأسرار السبعة في الإيمان المسيحي، The Seven Holy Sacraments ويقصد بالسر: عمل مقدس ينال به المؤمن نعمة غير منظورة تحت مادة أو علامة منظورة ليتلاءم مع الطبيعة البشرية، وهذه الأسرار هي : سر المعمودية _ سر الميرون _ سر القربان أو تناول جسد الرب ودمه_ سر التوبة و الاعتراف _ سر مسحة المرضى _سر الزيجة أي الزواج_ سر الكهنوت، وهذه النعم لا تتم إلا من خلال صلوات كاهن شرعي وبطقوس محددة، على سبيل المثال : سر التناول _الذي يشير إليه "نيتشه" وفيه تؤمن المسيحية بطوائفها: الأرثوذكسية والكاثوليكية وحتي البروتستانتية : بأنه من خلال صلوات الكاهن فقط يتم تحويل الخبز والخمر إلى جسد ودم حقيقيين للسيد المسيح وأيضًا: سر الزيجة : وفيه تؤمن المسيحية أنه أثناء الصلوات يتم الاتحاد الفعلي بين الرجل

- **سادسًا: وحده الكاهن يُخلص:** صورة أخرى من صور السيادة تلك المعروفة باسم "الخطايا"، وهذه "الخطايا" هي الشكل الممتاز في تحقير الإنسان فعند كل شعب منظم كهنوتيًا هي أمر لا غنى عنه وضروري، فتلك الخطايا هي الأدوات الحقيقية لبلوغ السلطة، الكاهن يبسط سلطته عبر بدعة الخطيئة، ويحيا من خلالها، ويحتاج دائمًا إلى خطاه، إن مفاهيم الخطيئة وما يرتبط بها من عقاب وخلاص وغفران هي أكاذيب تامة خالية من كل واقعة نفسية ومبتدعة تم اختراعها ليصعب إنعتاق الإنسان من السيطرة الكهنوتية، فالإنسان لا يجب أن ينظر أبعد من ذاته، يجب أن ينظر إلى داخله، ولا يجب أن ينظر إلى باطن الأشياء بذكائه وفطنته كي لا يتعلم، وبالأحرى ألا ينظر مطلقًا، يجب فقط أن يعاني، ويعاني بطريقة تقتضي دوام الحاجة إلى الكاهن، ويكون حينئذ المبدأ العام هو "الله يغفر لمن يكفر عن ذنوبه" أو بقول أكثر صراحة لمن يخضع للكاهن[٢].

إن "نيتشه" في حقيقة الأمر يحارب السلطان الكنسي لرجال الدين خاصة إذا ما تم استغلاله بشكل يقلل من قدر الإنسان، ويجعله مجبرًا و تابعًا لسلطة تحد من حريته وكرامته، وهو يرى أن هذا الأمر ليس بجديد فالمسيح نفسه كانت انتقد سلطان الكهنة وتدينهم الصوري، واهتمامهم الشكلي بالطقوس والشعائر دون اهتمامهم بالمغزى الحقيقي من هذا الشعائر، ودون اهتمامهم بالإنسان الذي يقوم بهذه الشعائر، لقد كان ذلك أشبه ما يكون بثورة شعبية وسط شعب من رجال الدين[٣]، حتى أنه أطلق عليه "الروح الحرfree spirit" فلا شيء ثابت ولا عقيدي يهمه، الحرف يقتل، وكل ما هو ثابت ونهائي يقتل[*][٤].

والمرأة ليصبحا جسدًا واحدًا بالفعل، ولذلك لا تعترف الكنيسة بأي زواج خارج الكنيسة وتنظر إليه باعتباره زنا. الأمر الذي يجعل وجود الكاهن أمرًا ضروريًا فهو "خادم الأسرار"، إلا أن الاعتراض الأساسي هو أنه في فترات ضعف الكنيسة كانت طائفة من الكهنة تتقاضي أجرًا مقابل القيام بهذه الأسرار وهو الأمر المخالف للمسيحية.

<< انظر :ميخائيل مكسي اسكندر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية، "مادة" الأسرار" (ج٢)مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٩٨، ص٨. >>

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٨٠، ٧٩.

(٢) المصدر نفسه:ص١٤١، ١٤٠، ٨١.

(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص٩٤.

(*) " Jesus could be called a 'free spirit', using the phrase somewhat loosely- he does not care for solid things: the word kills ،everything solid kills. "

<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Chris "32. >>

<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:29 >>

(٤) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٩٥.

إن "المسيح" عند "نيتشه" يقدم خبرة حياة كما يعرفها هو فقط، في مناقضة لكل شكل من أشكال الكلام والصياغة والقانون والعقيدة، إنه يقدم المسيحية باعتبارها "سلوكية جديد وليست إيمانًا جديدًا، وربما يكون دفع حياته ثمنًا لمعارضته لتلك السلطة الكهنوتية بعقائدها المتحجرة(١).

ب- احتقار الجسد:

أخذ "نيتشه" على المسيحية أنها تحتقر الجسد، وتنظر إليه كعدو، وتزعم أن المرء قد يمتلك "روحًا طيبةً" في جسد مسخ ومعتل ويبدو كجثة، ولكي يقنعوا الآخرين بهذا الشكل كان لزامًا عليهم أن يقدموا فكرة "الروح الطيبة" بشكل آخر، وتحويل القيمة الطبيعية إلى أن يصير ممكنًا اعتبار شخص ذلك الشخص المعتل هو موضوع الكمال واعتباره الصورة الحقيقية لما هو "إنجيلي" وممجد وراقِ(٢).

ويعارض "نيتشه" هذه الفكرة فيقول : " **نحن الآخرين الذين يمتلكون الشجاعة الكافية ليكونوا أصحاء ومحتقرين :بأي عمق علينا أن نحتقر دينًا عمل علي أن ينظر إلى الجسد بسوء، ولم يرد أن يتخلص من خرافات النفس المتطايرة واعتبار الجسد المعتل من علامات القداسة** "(٣).

ويوضح "نيتشه" السبب في تلك المعاملة السيئة ونظرة الازدراء هذه التي تنظرها المسيحية للجسد بأنها : عَبر هذه المعاملة تهيئ الأرضية الضرورية لسلسلة من الإحساسات بالذنب، التي تترجم باعتبارها خطايا لابد من التكفير عنها، وتتحول حياة الإنسان إلى معاناة دائمة نتيجة شعور دائم بأنه آثم أو مذنب، وبالتالي لن يكون المخرج من هذا الأمر سوى "التوبة" و "الخلاص" والغفران"(٤)(*).

---

(١) المصدر نفسه: ص٩٨، ٩٦، ٩٥.

(٢) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص٩١.

(٣) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص١٤٦.

(٤) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص٧٦.

(*) لقد انتقد نيتشه المسيحية التي تحتقر الجسد بناء على ممارسات أو مظاهر كانت سائدة في عصره، ولكن حقيقة الأمر أن المسيحية لا تنظر إلى الجسد نظرة احتقار، ويمكن أن تظهر النظرة الحقيقية للجسد في المسيحية من خلال العناصر التالية:

ا . من جهة خلق الإنسان في البداية: خُلِقَ الإنسان على صورة الله ليس في النفس فقط، بل في الإنسان كله، وصورة الله في الإنسان ليست منحصرة في عنصر معين من المركب الإنساني، بل هى تشمل طبيعة الإنسان كلها، فالجسد والنفس كلاهما خُلقا معًا على صورة الله. حتى أن أحد أباء الكنيسة الأوائل وهو " الشهيد يوستينوس " يخاطب أحد الذين ينكرون قيمة الجسد: [من الواضح إذًا أن الإنسان المخلوق على صورة الله له جسد. لأن القول بأن

ج- مفاهيم الثواب والعقاب:

جانب آخر يوجه فيه "نيتشه" النقد للمسيحية، وهو فكرة الثواب والعقاب، ويرى "نيتشه" أن فكرة الثواب والعقاب قد دنست تصورنا عن العالم، ويرفض هذه الفكرة ويرى أن دوره هو استئصال فكرة الذنب والعقاب من العالم ؛فهو سيحاول بكل ما أوتي من قوة أن يطهر العالم من هذا الدنس(١).

لا قيمة للجسد المخلوق على صورة الله ولا شرف له، قول غير صحيح ومشين. فالإنسان ليس روحًا فقط ولا جسد فقط. الإنسان هو وحدة من النفس والجسد]، و الكلام نفسه يقوله القديس "غريغوريوس النيسّى": بأن ليس النفس فقط بل "الجسم" أيضًا يشترك في سمة الصورة وهو مخلوق على صورة الله.

٢ . من جهة التجسد الإلهي: ليس هناك في المسيحية تعظيم للجسد أكثر من إيمانها بأن الله ظهر في الجسد" والكلمة صار جسدًا وحل بيننا" (يوحنا ١٤:١) وأيضا قول الرسول "بولس" : "عظيم هو سر التقوى.. الله ظهر في الجسد" (تيموثاوس الاولي ١٦:٣)، إن تجسد الكلمة باتحاد لاهوته بناسوته كشف لنا أن ابن الله اتخذ الجسم الإنساني إلى الأبد. وحينما أتى الله ليخلّص الإنسان لم يأخذ نفسًا بشرية فقط بل أخذ جسدًا بشريًا أيضًا، لأنه أراد أن يخلّص الإنسان كله روحه وجسده. وعلى هذا الأساس، فإن المسيحية ترفض كل فكرة تجعل من الجسد عنصرًا مؤقتًا من الوجود، أو سجنًا للنفس أو مبدأ شر يجب محاربته في ذاته. فالشر ينتج عن الإرادة وليس عن الجسم ذاته، كما يقول القديس أثناسيوس " إن الجسم هو صنعة يدي الله، ولا يمكن أن يخلق الله شيئًا شريرًا. بل إن القديس أثناسيوس يعلّمنا أن تجسد الكلمة أثر في وضع الجسد الإنساني فيقول: [إننا في المسيح نحيا جميعًا بولادتنا من فوق من الماء والروح، فلا يعود الجسد فيما بعد أرضيًا بل يصير إلهيًا كالكلمة، وذلك بسبب كلمة الله الذي صار جسدًا لأجلنا"

٣_ حقيقة الصراع بين الجسد والروح: إن الصراع بين الجسد والروح الذي يتكلّم عنه القديس بولس في رسالة غلاطية " وإنما أقول: اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد، لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر، حتى تفعلون ما لا تريدون" (١٧:٥) ليس هو صراع بين جسد شرير وروح صالحة، فإن الإنسان كله نفسًا وجسدًا صار تحت سلطان الخطية نتيجة معصية آدم. فالمسيح علّمنا أن " من القلب تخرج الأفكار الشريرة والقتل والزنا... إلخ". ويقول يوحنا كاسيان عن الصراع بين الروح والجسد أنه ينبغي ألاّ نفهم بكلمة الجسد الإنسان نفسه أي جوهر الإنسان، بل لأن هاتين الرغبتين المختلفتين هما في شخص واحد، فنحن دائمًا في حرب أهلية داخلية". إذًا فليس الجسم هو الشر كما تعلّم الغنوصية المانوية.

٤ . مفهوم الزهد والنسك: إن المسيحية ترفض كل عقيدة تقلل من قيمة الجسد أو تحتقره أو تعادله بقوة شريرة، وعلى هذا الموقف يقوم أساس النُسك الجسدي في المسيحية. فهو لا يهدف إلى إفناء الجسم بل إلى إخضاع الجسد للروح. وهذا يحتاج من الإنسان أحيانًا أن يكون صارمًا مع جسده، ورغم أنه حدثت تطرفات في هذا المجال في الواقع، ولكن الأمر المُسلّم به في المسيحية هو رفض المغالاة في النُسك والتقشف، رفض النُسك كهدف لذاته. يقول الرسول بولس: "لا يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه" (أف٢٩:٥). ونفس هذا المنهج يعبر في كتابات أباء البرية بقوله: "نحن لم نتعلم قتل الجسد بل قتل الأهواء".

<< انظر: كمال حبيب، المسيحية والجسد، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، ١٩٧٠، ص

نصحي عبد الشهيد : الرؤية المسيحية للجسد، مقال منشور في٠http://www. mase7y. com _ يناير ٢٠١٠>>

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٥٨، ٨٤.

وحقيقة الأمر يرى "نيتشه" أن فكرة الثواب والعقاب قد ارتبطت بكل أفعال الإنسان، وأن مصدر الثواب والعقاب لم يعد يرتبط بالجانب الديني فقط، ولكن بالجانب الأخلاقي أيضًا فيقول على لسان "زرادشت": " **أن ما يؤلمني حقًا هو أن الثواب والعقاب قد دُسا دسًا في غاية كل أمر بل حُشرا حشرًا في أعماق نفوسكم** "(١).

وترجع خطورة فكرة الثواب والعقاب عند "نيتشه" إلى أننا نعتبر أن كل ما ورثناه أصبح عقيدة ثابتة، قانونًا مسلماً به_خاصة إذا اعتمدت على الإله الذي أوحى بها، وحينها يصبح الهدف الأساسي هو ضرورة الامتثال له، وهنا يكون دور الإنسان الصالح هو أن يؤمن ويقبل، فما من شيء يمكن انتقاده، وعلينا أن نتقبل كل هذه الأفكار بالعرفان والخضوع التام(٢).

و الأمر نفسه على المستوي الأخلاقي؛ ففكرة أن يكون هناك فعلًا ما جديرًا بالمكافأة أو يستحق العقاب تقاس وفقاً لوجود نموذج محدد في الحياة، وحينها سيكون الفعل الذي يستحق العقاب هو الذي يمثل خروجًا على هذا النموذج(٣).

إنه يرى أن هذه الأفكار انبثقت في حقيقة الأمر من علماء اللاهوت والفلاسفة الأخلاقيين المؤمنين" بالنظام الأخلاقي الكوني"، الذين وضعوا أنفسهم على قمة هذا النظام، وأعطوا لأنفسهم الحق في فرض العقوبات، وإذا ما وجد هؤلاء الرجال الأحرار، حاكموهم وأدانوهم وليصبحوا مذنبين(٤).

د- وهم العالم الآخر:

لم تكن فكرتا الثواب العقاب تكتمل إلا بالوعد بالمكافأة الكبرى، والترهيب من العقاب الأبدي، ومن هنا اقترنت فكرة الثواب والعقاب بأفكار أخرى مثل "مملكة الرب" و "الحساب الأخير"، و"النعيم الأبدي"، وبدأ في الظهور هذا العالم الوهمي الخالص عالم الأحلام ذلك العالم البعيد عن الواقع (٥).

لقد لاحظ "نيتشه" أن إرادة القوة عند الضعفاء هي التي تستثير فكرة ذلك العالم الآخر المزعوم، فالضعفاء فقط هم من أصابهم اليأس والقنوط من هذه الحياة، وهم فقط من يكابد ويعاني في هذا العالم، ولذلك فهم يزهدون في هذا العالم أملًا في عالم آخر تتحقق لهم فيه

---

(١) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "الفضلاء"، ص١٢٠.
(٢) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص٨٤.
(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٥٩.
(٤)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٥٤.
(٥) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص٥٠

هذه السعادة. أما الشجعان فهم لا يفكرون بهذه الطريقة، ولا يريدون الموت في انتظار أشياء موعودة [١].

إن المسيحية متمثلة في الكنيسة والكهنة عند "نيتشه" هي من ابتدع هذه البدع المشئومة، وهي بمثابة أدوات تعذيب، وأنظمة وحشية من خلالها يتسلط الكاهن ويظل محتفظًا بسلطانه، لقد تم تضليل الإنسان عندما ساعدوه في اختلاق عالم آخر مثالي، وانتقاص قيمة العالم الأرضي والحقيقة، مما جعله يركز أمله في العالم الآخر بدلًا من أن يسعى إلى تحقيقه في الزمان والمكان، لقد جعلوا من الموت ملهاة تُفقد فيها كل القيم، وفي الآخرة يعاقب المسيحي القوي، أما الضعفاء والعبيد فيدخلون الجنة لأنهم نجحوا في كبت أفضل دوافعهم في الحياة، وعاشوا في خوف من الحياة يكللهم الشوق إلى الحياة الأخرى[٢]، وقد عبر عن هذا الأمر في مؤلفه "عدو المسيح" قائلًا" :

" **وضع مركز ثقل الحياة لا في الحياة، وإنما في الأكثر بعدًا في الآخرة، في اللاشيء الذي يسلب من الحياة أهميتها وثقلها. الكذبة الكبيرة عن الخلود الشخصي تدمر كل صواب وكل طبيعة في الغرائز، وكل ما هو مفيد ومفضل في الحياة، وكل ما يضمن المستقبل من الغرائز أصبح من الآن يستثير عدم الثقة. الحياة بهذه الطريقة قد فقدت معناها**"[٣].

يرفض "نيتشه" هذه الفكرة بما فيها من انتقاص لقيمة الحياة على الأرض وما تسببه من هلع لدى الكثيرين[٤(*)]، وينظر إليها من جانب شديد العمق حينما يلفت أنظارنا إلى

---

(١)فريدريش نيتشه:العلم الجذل، ص ١٧٣& صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص٣٤٥.

(٢)فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص١٠٧. & صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص٣٤٥.

(٣) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص١١٩.

(*) ظهرت أصداء هذه الفكرة عند فلاسفة الفكر الوجودي اللاديني خاصة "ألبير كامي" إذ يرى أن الاعتقاد بوجود حياة أخرى غير التي نحياها من أكثر الأوهام التي سيطرت على العقل البشري، وهي تجعل الإنسان لا يهتم بحياته الحاضرة بل وربما يفضل الموت رغبةً في التخلص من ذلك الشقاء الأرضي، بحثًا عن السعادة في حياة أخرى تفوق هذه الحياة. ويرى إن إيمان المرء بحياة أخرى هى خدعة أولئك الذين يعيشون، لا للحياة نفسها، وإنما لفكرة ما عظيمة، تفوق هذه الحياة، وتعطيها معنى، ومقابل ذلك لا بد من التنازل عن حياتنا الحاضرة، وهنا تكمن الخطورة، ويطلق "كامي" على هذا الفعل اسم فعل "التضليل".

<<انظر: ألبير كامي: أسطورة سيزيف، ترجمة:أنيس زكي حسن، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٨٣. ص١٧، ١٦>>

موقف" السيد المسيح" نفسه مع تلاميذه، حينما سألوه عن الملكوت، فيوجههم إلى معنى آخر حينما يقول لهم: "**هو ذا ملكوت الله داخلكم**" (*)، وعلى نفس النهج يقول "نيتشه" : **إن ملكوت السموات هي حالة قلب، وليست شيئًا يأتي من فوق، أو إنه الحياة بعد الموت.... مملكة الله ليست شيئًا ينتظر، و لا تمتلك أساسًا، وليست شيئاً آتياً، وليست تحل في ألفية.... إنها خبرة قلب وممارسته.... توجد في كل مكان، ولا توجد في أي مكان.**"(**)(١).

إذن "فنيتشه" لم ينكر وجود العالم الآخر، ولكنه رفض المعني الحرفي لهذه الكلمة، وكيف استخدمت الفكرة استخداماً سيئاً، وما نتج عنها من تحقير وانتقاص للعالم الأرضي، إن نظرته إلى هذا العالم فيها نوع من العلو، إذ يتحدث عن حالة روحية غير مرتبطة بمكان ولا زمان، إنه يتحدث عن هذا العالم باعتباره حالة قلبية، كما يتضح في هذا الرأي مدي التأثر الشديد بالكتاب المقدس وكلمات "السيد المسيح"، وهذا الأمر إن دل علي شيء فهو هذا دليل علي وجود النزوع الديني في أعماقه.

هـ فكرة المساواة أمام الله:

فكرة أخرى ينتقدها "نيتشه" في المسيحية ألا وهي مناداتها بفكرة "المساواة أمام الله The equality of souls before God "، فيتحدث عن ذلك الأمر قائلًا :

"**هناك فكرة مسيحية أخرى أقل جنونًا، وقد ترسخت بعمق وتم تناقلها في جسد المعاصرة : فكرة "مساواة الأرواح أمام الله"، وهنا ظهر النموذج الأصلي لكل نظريات الحقوق المتساوية :لقد تم تعليم الإنسانية في البداية أن تتهجى بطريقة دينية جملة**

(*) يتكلم "نيتشه" عن موقف تعرض له السيد المسيح مع فئة من رجال الدين اليهود وهم " الْفَرِّيسِيُّونَ: " وهم من أكثر فئات رجال الدين اليهودي تعصبًا وتشددًا ؛ فسَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: « مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ؟» أَجَابَهُمْ وَقَالَ: «لاَ يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ، وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَ ذَا ههُنَا، أَوْ: هُوَ ذَا هُنَاكَ! لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ»(لوقا:٢١، ١٧:٢٠)، لقد أجاب السيد المسيح عن تساؤلهم بتوجيه فكرهم إلى الاهتمام بالتمتع بالملكوت كملكوتٍ حاضر، ملكوت داخلي في أعماق النفس؛ فالملكوت هو الشعور الدائم بحضور الله دائمًا، وهذا الشعور لا يرتبط بمكان أو زمان آتي ولكنه في كل زمان ومكان. وهو المعنى نفس الذي يعبر عنه "نيتشه".

(**)" The 'kingdom of heaven' is a state of the heart - not something lying above the earth' or coming 'after death..'. The 'kingdom of God' is not something that you wait for; it does not have a yesterday or a day after tomorrow, it will not arrive in a 'thousand years' - it is an experience of the heart; it is everywhere and it is nowhere. "
<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Chris "34. >>
<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:32 >>

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص١١٩.

الإنسانية، ولاحقًا تحولت هذه الجملة إلى أخلاق للإنسانية، ولا عجب أن انتهى الأمر بالإنسان إلى أن يأخذ هذه الجملة مأخذ الجد، واستخدمها من الناحية العلمية، أقصد السياسية والديمقراطية والاجتماعية والتشاؤمية بدافع السخط" [١].

كان "نيتشه" يرفض فكرة المساواة [*]، ويطلق عليها " الديناميت المسيحي Christian dynamite "[١]. ويرى أن مصدرها الإحساس بالعجز والضعف؛ فيقول على لسان "زرادشت" :

---

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٥٨، ١٥٧.

(*) لم يكن رفض فكرة المساواة أمرًا خاصًا بنيتشه بل نراه لدى فلاسفة الفكر الوجودي في أكثر من صورة فعلى سبيل المثال نرى :

أولاً: "كيركجور : " ينتقد ويرفض ما أسماه فكرة التسطيح والمساواة" Levelling and Equality" ويرى أنها إحدى النتائج التي ترتبت على انتشار الفلسفات النظرية خاصة الفلسفة الهيجلية و أنها في اهتمامها بالكل والتركيز على الكم قد ترتب عليها جعل الأشياء جميعًا متساوية، والناس جميعًا في صورة واحدة يطبق عليهم مقياسًا واحدًا وشعارًا واحدًا هو المساواة " Egalitarian" فنحن جميعا متساوون وليس ثمة "أناس" "أعلى من أناس"، ويرى أن هذه الفكرة يروج لها من قبل صنفين من الناس: الأول: الشيوعية التي تنادي بأن كل الناس متساويين مثل العمال في المصنع، أو كالخيل في حظائر الأفراس في الإسطبل يتناولون الطعام نفسه في قدر ضخم وبمقادير متساوية، و الثاني : دعاة التقوى الدينية الذين يزعمون أن كل الناس متساويين وينبغي عليهم أن يلبسوا الرداء نفسه، وأن يصلوا في أوقات محددة، وأن يتزوجوا بالاقتراع، وأن يتناولوا الطعام من القصعة نفسها، وأن يتناولوا غذاءهم بالترتيب بنفسه، وكلتا الحالتين يراهم "كيركجور" أقرب إلى حال الحيوانات منها إلى الإنسان.

أما "كيركجور" فقد انتقد بشدة فكرة المساواة لأكثر من سبب أهمها أن الوجود الإنساني عند "كيركجور" هو وجود فريد " unique ": فكل موجود إنساني هو موجود من أجل نفسه، وهو حقيقة لا يمكن تكرارها، وبالتالي يكون الشيء الهام والحقيقي عند "كيركجور" هو ذلك الفرد الأصيل القادر على الاستقلال عن باقي الأفراد ويواجه مصيره بمفرده وجهًا لوجه مع أبديته. إن الاختلاف عند "كيركجور" هو سمة الزمنية أما التسوية أو المساواة فهي سمة الأبدية، ولذلك فالتسوية التي تحدث في الحياة العامة لا محل لها لما فيها من انحطاط وازدراء لكرامة الإنسان أمام الإنسان، أما أمام الله فنحن كلنا على قدم المساواة.

ثانيًا "هايدجر": هاجم "هايدجر" فكرة التسوية والتوسط، حيث ذهب إلى أن "التوسط " هو سمة من سمات الوجود الزائف للآنية في عالمها اليومي، وأنه يقوم علي وجود الآخر، ويعمل على تسوية جميع الاختلافات، ويذيب الآنية إذابة كاملة في وجود الآخرين إلى أن يفقد الآخرون أنفسهم ما يميزهم من سمات فيمارس الناس نوعًا من التسوية أو توحيد المستوي أو البقاء في المستوي المتوسط، فيما يطلق عليه هايدجر "الحياة العامة المفتوحة، وبذلك يفرض على الآنية "عبادة التوسط"، فيظهر في كل الأحيان معيار عام يطبق على كل الأحوال الممكنة، وهو معيار متوسط ينبغي احترامه تحت تأثير وسائل للقهر والإلزام متغيرة، ولا يمكن ردها. إن في الحياة المتوسطة نزوع أساسي للآنية أسماه هايدجر "تسوية كل ممكنات الوجود "، وفي هذه الحالة يسيطر "الناس" على كل طريقة ممكنة لتفسير العالم والآنية، ويكون دائمًا على صواب، لأنهم يشعرون بالاختلاف في مستوي الأصالة، ولا يصلون إلى قلب الأشياء، وعندئذ لا تعثر الآنية على ذاتها، وتحيا وجودًا زائفًا.

<<انظر:

"يا كهان المساواة ! لقد تسلط عليكم جنون عجزكم، فهتفتم بهذه المساواة، وقد كمنت شهوة عتوكم واستبدادكم وراء ما تلعنون من فضائل"[٢].

يرى "نيتشه" أن القول بأن كل "الناس" متساوون أمام الله هو تقييم من أخطر التقييمات الممكنة، لأننا إذا ساوينا بين الأفراد فإننا نضع النوع البشري في خطر، ونشجع على ممارسة ستؤدي إلى تدمير هذا النوع، إذ ستناقض المسيحية مبدأ الانتخاب الطبيعي حيث ستجعل المنحط والمريض_ الإنسان المسيحي _ له قيمة ذلك "الوثني" نفسه الذي يتمتع بصحة جيدة بل وقيمة أكبر، إن هذا المبدأ يعني تفضيل المرضى والفاشلين والمنحطين في مقابل إهانة الأقوياء والتضحية بهم[٣].

إن "نيتشه" يرى أن الذين لم تحالفهم الأقدار من كل عظمة ونجاح في الحياة هم الذين يبشرون بالمساواة، و هم الذين لديهم الرغبة في الثأر من جميع أشكال الحياة القوية التي ترفض هذه الفكرة، إنه يربط بين فكرة المساواة وبين مجتمع الضعفاء، فبمقدار ما تكون الحياة عاجزة وضعيفة، تلح على المساواة مع الجميع، وتحاول الهبوط بالعظماء إلى القاع، وهي ترى في العظمة جريمة تحاول المساواة أن تنال منها، وتريد أن تثأر من جميع الأقوياء ومن سبل النجاح في الحياة، فإرادة المساواة تساوي بين إرادة القوة لدى المقصرين والعاجزين[٤].

أما "نيتشه" فيعلن على لسان "زرادشت" قائلًا:**"لا مساواة بين الناس" ومن الواجب ألا يتساووا، وليس لي أن أقول بغير هذا المبدأ"**[٥].

و- عداء المسيحية للعلم:

يرى "نيتشه" أن المسيحية تكن عداء للعلم، ولا ترتكز على الواقع الذي يصدر العلم عنه، فالإيمان المسيحي معارض للعلم خاصة لعلمي "الفيلولوجيا والطب" اللذين يمكن

_Kierkegaard,S. : Concluding Unscientific Postscript, P:169 & Caputo، J. D. : "How to read Kierkegaard" ", New York ,London, W. W. Norton and Company, 2008. , P: 91, 93.

_ إمام عبد الفتاح : كيركجور رائد الوجودية، (ج ١)، ص٢٢٢.

_ صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، ص١٩٦، ١٩٥. <<

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص١٨٦، ١٨٥.

(٢) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، " العناكب"، ص١٢٧.

(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١١٢.

(٤) صفاء عبد السلام جعفر:محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص٢٠٢، ٢٠١.

(٥) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، " العناكب"، ص١٢٧.

بواسطتهما القضاء على كل الخرافات المرتبطة بالدين، ولكن لماذا حدد "نيتشه" الفيلولوجيا والطب؟

يوضح "نيتشه" ذلك المعنى فيقول:" الخصمان الكبيران لكل معتقد خرافي هما: الفيلولوجيا والطب، فالفيلولوجيا باعتبارها "فن القراءة الصحيحة" فن القدرة على قراءة الأعمال دون تزييفها، ودورها الحقيقي يكمن في إيضاح نشأة النص وتطوره، ويكشف ما وراء الكلمات الموجودة في الكتب المقدسة، ليكشف ما بها من زيف أو تحريف(١).

لقد رأى "نيتشه" أن الكهنة ورجال الدين يجهلون فن القراءة الجيدة، و توجه إليهم تهمة الخيانة، خيانة المعاني الحقيقية للكتاب المقدس، لأنهم من جانب يتكلمون وكأن لسان حالهم يقول: " أنا على حق لأنه مكتوب هنا"، ومن جانب آخر أنهم يطرحون فرضيات التفسير الخاص بهم وكأنها أركان أساسية في العقيدة. إنهم يعلمون الشعب فن القراءة الرديئة(٢).

أما الطب: فيظهر عداء المسيحية له لكونه يتعارض مع قيمة المرض الذي تبجله المسيحية، فهي تنظر للمرض باعتباره عقوبة وابتلاء، أو أحيانًا شرطًا للخلاص، فإذا مرض الإنسان بلغ بذلك مرتبة من الكمال لا يبلغها وهو بصحته، وأحيانًا يكون على المرء أن يمرض نفسه طوعًا(٣).

إن التمارين الروحية التي تفرضها الكنيسة على أتباعها بما فيها من ضرر بالصحة، وإنهاك للجسد هي وسيلتها للسيطرة على الإنسان، فشعور الإنسان بأن صحته ليست على ما يرام يغرقه في هموم ووساوس لا حد لها، ويوجه لنفسه انتقادات لا تحصى، ويعتقد أن حالته السيئة من آثار وساوسه وذنوبه وانتقاده لنفسه.

والنتيجة إذن أن المرض أصله "الخطيئة"، وبالتالي فالشفاء لن يكون على يد الطبيب بل علي يد الكاهن من خلال الصلوات التي يقوم بها من أجل غفران تلك الخطيئة، وعندما يستعيد الإنسان عافيته بعد حالة الوهن والإنهاك وتحل فيه الطمأنينة، يبدأ في التساؤل عن السبب؟ إنها معجزة تمت لأن الخطية قد تم غفرانها(٤).

إن "نيتشه" يرى أن المسيحية ترفض العلم لصالح الإيمان بالمعجزات والغيبيات التي هي ليست أكثر من مظاهر بدائية ساذجة للسيطرة على الإنسان، ولذلك على الإنسان أن

---

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص١٥٠، ١٣٦.
(٢) فريدريش نيتشه: الفجر، ص ٩.
(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص٩١.
(٤) المصدر نفسه، ص٧٥_٧٧.

يحمي نفسه من العلم، وألا يفكر، ولذلك يخترع رجل الدين الحزن والموت وكل أنواع البؤس والشيخوخة والكدر والمرض؛ فالحزن والكآبة لا يسمحان للإنسان بالتفكير[١].

والخلاصة إذن:

بناءً على ما سبق نجد أن عبارة "موت الإله" عند "نيتشه" إذا ما نظرنا إلى دلالتها الدينية نجد أنها كانت تعني الثورة على الأفكار والأخلاق المسيحية كما صورها رجال الدين، والتي لم تسبب للإنسان إلا الشقاء، وقد لخص "نيتشه" أبعاد هذه الفكرة في كتابه "أفول الأصنام" قائلًا:

"**بالنسبة لنا نحن المغايرين الأمر بخلاف ذلك :فحين نتخلى عن العقيدة المسيحية، فإننا ننزع عنا في الوهلة نفسها كل حق في الأخلاق المسيحية.. المسيحية نظام، ورؤية شاملة، ومتماسكة للأشياء. إذا نزعنا منها فكرة أساسية، وهي الإيمان بالله، فإننا نهدم الصرح كله في اللحظة نفسها، ولا يتبقى بين أيدينا آنذاك شيء له أدنى لزوم. تفترض المسيحية أن الإنسان لا يعلم، ولا يستطيع أن يعلم ما هو خير له، وما هو شر له: إنه يؤمن بالإله الذي وحده يعرف ذلك... الأخلاق المسيحية أمر قطعي: أصله متعالٍ فهي فوق النقد، فوق كل حق في النقد... ليس لها من حقيقة إلا إذا كان الإله هو الحقيقة... إنها لا تستمر إلا إذا كان الإيمان بالإله مستمرًا**" [*][٢]

د- الدلالات الفلسفية لفكرة موت الإله.

من خلال العرض السابق توصلنا إلى أن "نيتشه" لم يكن يقصد من وراء كلمة "الإله" بالمعنى الديني، ولكن كان يقصد الإله بوصف الأساس الذي ترتكز عليه العقيدة والأخلاق

---

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص١٥٠، ١٣٦.

(*) For the rest of us, things are different. When you give up Christian faith, you pull the rug out from under your right to Christian morality as well..... Christianity is a system, a carefully considered, integrated view of things. If you break off a main tenet, the belief in God, you smash the whole system along with it: you lose your grip on anything necessary. Christianity presupposes that humans do not know, cannot know what is good for them or what is evil, they believe in God who has privileged knowledge of this. Christian morality is a command; it has a transcendent origin; it is beyond all criticism, all right to criticism; it has truth only if God is the truth,- it stands or falls along with belief in God. "

<<CP. :Nietzsche, F. : "Twilight of the Idols ","skirmishes of an Untimely man, 5. >>

<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, ,P:193,194. >>

(٢) فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص١٢.

المسيحية، وقد أوضح "نيتشه" المغزى الحقيقي من فكرة موت الإله والهدف من ورائها في فقرة بعنوان "لم الإلحاد اليوم"؟ في مؤلفه "ما وراء الخير والشر"؛ فها هو يقول :

" **لم الإلحاد اليوم؟ لقد تم دحض فكرة "الإله" بوصفه "الآب"(*) نقضًا جذريًا، وبوصفه "القاضي" و"المثيب" أيضًا، وكذلك أبطلت "إرادته الحرة" أنه لا يسمع _ولو سمع لما عرف أن يساعد مع ذلك.. هذا ما كشفته أثناء أحاديث شتى، إنه أحد الأسباب التي أدت إلى انحطاط الألوهية الأوربية** (**)"(١)

إذن فموت الإله عند "نيتشه" يعني انهيار الأساس الذي كانت ترتكز عليه مجموعة من العقائد والممارسات الخاطئة التي تقوم باسم الدين، وما نتج عنها من انحطاط للحضارة الأوربية، وانتقاص لكرامة الإنسان وتعطيل لطاقاته الإبداعية.

ولكن الممارسات الدينية وحدها لم تكن السبب الأوحد الذي أثر بالسلب على الإنسان، وأفقده قدرته على الإبداع، بل تضافرت معه بعض النظريات والأفكار الفلسفية، ومن هنا كان نقد الإله بالمعنى الديني مقدمة ضرورية لنقد هذه الأفكار، فيتحدث "نيتشه" عن هذا الأمر قائلًا:

" **في الواقع إن أعظم حدث قريب العهد هو واقعة "موت الإله"، أو بعبارة أخرى لقد فقد الإيمان المسيحي معقوليته _ وقد بدأت آثاره تنتشر في أوروبا... قلة من الناس أدركوا أن شمسًا قد بدأت في الأفول، وأن يقيناً قديماً وعميقاً قد صار شكًا،.... لقد تآكل**

(*) كلمة "الآب" التي يستخدمه "نيتشه" هنا تشير إلى أقنوم الآب في المسيحية وهو أحد الأقانيم الثلاثة وفقًا لعقيدة التثليث والتوحيد، لفظة " الآب " هي لفظة سامية تعني أصل الوجود أو الأصل، وقد وردت باللفظ نفسه في العربية والعبرية والآرامية والفينيقية والأشورية والحبشية، وقد وردت في الأناجيل ١٥٧ مرة، فالله هو أصل الوجود، ولا توجد علَّة (سبب) لوجود الله بل هو كائن بذاته.. جميع الأشياء هي من الله الآب كقول الإنجيل المقدس "لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له" (١كو ٨: ٦) فالآب هو أصل الوجود، والآب هو نبع اللاهوت.

وحين يقول "نيتشه" أن الإله قد تم نقضه بوصف" الآب" فهو يقصد إنه تم نقده باعتباره أصل الوجود وعلته الغائية، وهو يتبع ذلك بقوله أيضا أنه تم نقض فكرة الإله بوصفه مصدر الأخلاق الذي يثيب ويعاقب في إشارة لرفضه فكرة الثواب والعقاب كما سبق إيضاحه.

<< انظر :حلمي القمص يعقوب: التثليث والتوحيد هل ضد العقل، مكتبة كنيسة القديسين، الطبعة العاشرة، الإسكندرية، ص ٤٠>>

(**) Why Atheism nowadays? “The father” in God is thoroughly refuted; equally so “the judge”, “the rewarder. ” Also his “free will”: he does not hear—and even if he did, he would not know how to help. …This is what I have made out (by questioning and listening at a variety of conversations) to be the cause of the decline of European theism"

<<Nietzsche, F. : Beyond Good and Evil,p:22>>

(١) فريدريش نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص ٨٦.

هذا الإيمان الذي كان الأساس، والسند والأرض المغذية لهذا المقدار من الأشياء: كل الأخلاق الأوروبية،.. وعلينا من الآن فصاعدًا أن نتوقع سلسلة من الانهيارات والتدمير والخراب والانقلابات"[١]

ويرى "نيتشه" أن "موت الإله" حادثًا مفجعًا ليس لكل أحد مقدرةً على تحمله، إلا أنه هو المقدمة الضرورية التي تفتح أمام الفلاسفة وأصحاب العقول الحرة كل قدرة على النقد، وتمنحهم القدرة على التفكير والإبداع، إنها مسألة تحول في وعي البشرية بأسرها، وزلزلة تقتلع التراث الأفلاطوني المسيحي من جذوره، وانتصار للخلاص على يد جيل من الأبطال المبدعين[٢]، ويعبر "نيتشه" عن هذه الحالة فيقول :

" **إننا نحن الفلاسفة "المفكرون الأحرار" وقد علمنا أن "الإله القديم قد مات" نشعر أننا نضيء كما لو كان فجرًا جديدًا لمسناه، ويفيض قلبنا بالعرفان وبالجميل وبالدهشة وبشعور مسبق وبالانتظار!.. هاك أخيرًا ولو أنه ليس جليًا يبدو في الأفق، ومن جديد حرًا، وأخيرًا تستطيع مراكبنا أن تنطلق من جديد، أن تجدف أمام كل خطر، لقد سمح بالإبحار لكل محاولة رواد المعرفة، والبحر يفتح لنا من جديد كل آفاقه، وربما لم يكن هناك إطلاقًا من بحر "مفتوح" كهذا!**"[٣]

إذن فموت الإله هنا كان النداء الذي أعلن من خلاله "نيتشه" انهيار مجموعة من الأفكار الفلسفية التي كانت مسيطرة على العقل البشري، ولذلك تحمل فكرة موت الإله من الناحية الفلسفية مجموعة من الدلالات والمعاني نذكر منها:

١- موت الإله يعني: نهاية كل الحقائق القديمة"

يعلن نيتشه في مقدمة كتابه "هوذا الإنسان " أن مهمته الأساسية هي تحطيم الأصنام، وعندما نوجه إليه السؤال "ما تلك الأصنام[٤]؟ فيجيب "نيتشه" قائلًا: "**إنها نهاية كل الحقائق القديمة... ليس هنالك من حقيقة ولا أية مثاليات** "[٥]

---

(١) فريدريش نيتشه: العلم الجذل، ص١٩٣

(٢) عبد الغفار مكاوي :""كن نفسك" __قراءة لبعض نصوص نيتشه النفسية
نقلًا عن :صفاء عبد السلام جعفر:محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٣٥٢.

(٣) فريدريش نيتشه: العلم الجذل، ص١٩٤.

(٤) فريدريش نيتشه: هوذا الإنسان، ص ٨.

(٥) فريدريش نيتشه: هوذا الإنسان، ص١٣٧.

ويفسر "نيتشه" فكرته فيقول : " إن الأصنام هي كلمتي المفضلة للتعبير عن "المُثل ideals"[*]، إن أكذوبة "عالم المُثل" ظلت اللعنة الحائمة فوق الواقع وعبرها غدت الإنسانية نفسها مشوهة ومزيفة حتى في غرائزها الأكثر عمقًا _ تزييف بلغ حد التقديس للقيم المعكوسة المناقضة لتلك التي كان بإمكانها أن تضمن النمو والمستقبل والحق المقدس في المستقبل، فبمجرد ما ابتدعت أكذوبة عالم المثل، تم تجريد الواقع من قيمته ومعناه ومن حقيقته، وأصبحنا دائمًا أمام عالمين "العالم الحقيقي" و"العالم الظاهري" أو بعبارة أكثر وضوحًا العالم المبتدع والعالم الواقعي[١].

كانت فكرة "عالم المثل" التي ابتدعها أفلاطون وميز فيها بين عالم المثل باعتباره موطناً لكل ما هو كامل وحقيقي وثابت وأزلي وأبدي ومجرد، وبين عالمنا الأرضي ذلك العالم الناقص والمتغير والحسي، قد ألقت بظلالها على تاريخ الفكر الفلسفي برمته، وأصبحت الأساس الذي ترتكز عليه كل الفلسفات المثالية، وما نتج عنها من الإحساس بدونية ذلك العالم الذي نعيش فيه. وقد عبر "نيتشه" عن هذا الأمر بقوله:" **إنها لقصة محزنة حين يبحث الإنسان عن مبدأ يمكن الاعتماد عليه من أجل ازدراء الإنسان، ويختلق عالمًا ليتمكن من الافتراء على هذا العالم وتدنيسه، والحقيقة هي أنه يمد يديه نحو العدم، ويجعل ذلك العدم هو "الإله" وهو الحقيقة، ويجعله في كل الأحوال قاضي الوجود والمذنب**[*]"[٢].

(*) المثال Ideal:هو صورة الشيء الذي تمثل صفاته، وهو القالب أو النموذج الذي يُقرر علي مثله، والمثال عن "أفلاطون" هو صورة مجردة وحقيقة معقولة أزلية ثابتة، قائمة بذاتها لا تتغير ولا تفسد، والمثل الأفلاطونية هي مبدأ المعرفة والوجود معاً، فهي مبدأ المعرفة لان النفس لا تدرك الأشياء ولا تعرف تسميتها إلا إذا كانت قادرة علي تأمل المثل، كما إنها هي مبدأ الوجود لأن الجسم لا يتعين في نوعه " هو صورة مجردة وحقيقة معقولة أزلية ثابتة، قائمة بذاتها لا تتغير ولا تفسد، والمثل الأفلاطونية هي مبدأ المعرفة والوجود معاً، فهي مبدأ المعرفة لان النفس لا تدرك الأشياء ولا تعرف تسميتها إلا إذا كانت قادرة علي تأمل المثل، كما إنها هي مبدأ الوجود لأن الجسم لا يتعين في نوعه إلا إذا شارك بجزء من مادته في مثال من المثل، وظهر أيضاً مفهوم المثال عند "كانط" باعتباره صورة عقلية كاملة تتجاوز معطيات عالم الحس، وتصورات الذهن، وليس ما يمثله عالم التجربة، إلا إنها تتخذ قاعدة للتفكير والعمل.

<< انظر : جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج(٢)،، مادة "المثال"، ص ٣٣٥>>

(١) فريدريش نيتشه: هوذا الإنسان، ص ٨.

(*) It is a miserable story: man seeks a principle through which he can despise men-he invents a world so as to be able to slander and bespatter this world: in reality, he reaches every time for nothingness and construes nothingness as "God," as "truth"، and in any case as judge and condemner of this state of bein. " < CP. :Nietzsche. F:, The Will to Power ,P:253. >>

(٢) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٩٨.

إن " أفلاطون" قد خلق عالمًا وأضفى عليه صفات الألوهية من الثبات والإطلاق والتجريد، وفي المقابل كان السبب الرئيس في ازدراء الواقع الأرضي والتهرب منه، فهو لم يشأ أن يرى من الأشياء إلا تلك الصور المثالية الشاحبة[١].

ولكنه الآن يعلن انتهاء هذه الأوهام فيقول:" **أن ما يسمى عالم الظاهر والعالم الذي اخترعه كذبة، وكان يسمى "بالعالم الحقيقي" أو "الحقيقة" أو "الإله" هذا ما يجب علينا إلغاؤه.** [**]" [٢]

إذن فكلمة الإله هنا مجرد رمز يستخدمه "نيتشه" ليشير إلى التراث الأفلاطوني وعالم المثل، وهذا التراث الذي يحاول "نيتشه" أن يهوي عليه بمطرقته ليحطمه.

٢- موت الإله إعلان عن معنى جديد للحقيقة

كانت الخطوة الثانية بعد تحطيم عالم المثل باعتباره عالم الحقائق القديمة، هي أن يعلن "نيتشه" عن المعنى الجديد للحقيقة، فيقول:

" **الحقيقة ليست شيئًا موجودًا يجب البحث عنه واكتشافه، وإنما شيء يجب خلقه، شيء يعطي اسمه لعملية ما، لإرادة تحقيق انتصار ما، إرادة ليست لها في ذاتها غاية معينة، بحيث تصبح الحقيقة صيرورة لا تنتهي وعزماً فعالاً، وليست وصولاً لشيء ثابت ومحدد**"[٣].

إن "نيتشه" هنا_كما سبقت الإشارة_ ينزل الحقيقة من سمائها وعالمها الميتافيزيقي إلى عالمنا الأرضي، ليربطها بالإنسان، ذلك الإنسان القادر على الخلق، الإنسان الذي يخلق أسماء جديدة، وتقديرات جديدة، واحتمالات جديدة، لكي يتم على المدى الطويل خلق أشياء جديدة [٤].

إن نيتشه يعبر عن الدور الجديد الإنسان تجاه الحقيقة فيقول: "**إن طموحي أعظم من هذا بكثير، ولست إطلاقًا بباحث، ولكن ما أريده أن أخلق لنفسي شمسًا خاصة**"[٥]

---

(١) فريدريش نيتشه: الفجر، ٢٣٢.

(**)The apparent world and the world invented by a lie-this is the antithesis. The latter has hitherto been called the "real world," "truth," "God. " This is what we have to abolish.
<<CP. :Nietzsche. F:, The Will to Power ,P:254. >>

(٢) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٩٩.

(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص٢١٦.

(٤) فريدريش نيتشه: العلم الجذل ٧١.

(٥) فريدريش نيتشه: العلم الجذل ١٧٦.

لقد كان "مثال الخير" عند أفلاطون هو أعم الأفكار جميعًا، وأكثرها حقيقة، وأعلاها مقامًا، وكان "مثال الخير" في عالم المثل يقوم مقام الشمس فهو "شمس عالم المثل"، وهو الذي يضفي على المقولات الضوء الذي تكون به مرئية والحرارة التي تكسبها الحياة، وأي معرفة سواء كانت رياضية أو علمية أو أخلاقية لا قيمة لها ما لم تهدف في آخر الأمر إلى تحقيق الخير، أو ما لم ينظر إليها من خلال ضوء فكرة الخير ومدى قربها وابتعادها عنه، فالخير هو المعيار المطلق الذي تقوم به المعرفة ووفقاً لمدى قربها من شمس عالم المثل(١).

ولما كان "نيتشه" قد ألغى عالم المُثل، فبالتالي لم تعد شمس عالم المثل هي المعيار الذي يحدد الحقيقية، بل أصبحت الفاعلية الإنسانية هي خالقة للحقيقة، وأصبح لكل فرد الحق في أن يخلق لنفسه شمسه الجديدة، في تأكيد منه على قدرة الإنسان على الخلق والإبداع، لذلك نرى "نيتشه" يقول على لسان زرادشت: " **إن شموسًا محرقة ستدخل حرارة الإبداع في الغابات الغضة الرطبة التي لم تمسها يد بعد**"(٢)(*)

٣- موت الإله وانهيار فكرة "المثل الأعلى"

يرى "نيتشه" أن "أفلاطون" لم يكتف باختراع عالم المثل، ولكن وصلت المشكلة إلى ذروتها عندما أصبح من الضروري ابتداع ذلك الإنسان الكامل والمجرد، ذلك الإنسان الصالح والعادل والحكيم(٣)، واعتاد الفلاسفة البحث عن ذلك المثل الأعلى الذي يمكن من خلاله تحديد قيمة الإنسان عند مقارنته مع هذا الإنسان المثالي، وتأصلت هذه الفكرة في النفوس مع المحاولات التي قام بها رجال الدين والفلاسفة حين قاموا بنشر أفكارهم باعتبارها السبل الوحيدة لبلوغ الخير الأسمى، وقاموا بدعوة كل أصناف البشر إلى السمو تدريجيًا إلى أن تبلغ هذا النموذج (٤).

---

(١) أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص ١٨٧.

(٢) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "حكمة البشر "، ص١٧٢.

(*) بالرغم من نبل الهدف الذي يسعى إليه نيتشه وهو التأكيد على القدرة الفاعلة والخالقة للإنسان والتي من أجلها شن حربًا ضروسًا على الفلسفات المثالية، إلا أن المبالغة في تقدير فاعلية الإنسان في خلقة للحقيقة تستتبع المثالية حتمًا، لأن الحقيقة تعتمد على الإنسان في كشفها أكثر مما تعتمد عليه في خلقها من جديد، والفلسفات التي تبالغ في تقدير أهمية الفاعلية الإنسانية تنتهي إلى نوع من الذاتية في فهمها للحقيقة، وهي ذاتية تتعلق بالنوع الإنساني عامة، وتنكر تضافر عنصر الواقع مع عنصر الذهن في كشف الحقيقة.

<< انظر: فؤاد زكريا :نيتشه، ص٦١>>

(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٨١.

(٤) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٩٠.

أما "نيتشه" **فيرى أن المثل الأعلى هو القوة الحقيقية السالبة للعالم والإنسان والقوة التي نفثت على الواقع نفسها المسموم، وهي الإغواء الكبير نحو العدم"(*).**

إن الإنسان الحقيقي عند "نيتشه" يمثل قيمة أعلى بكثير من قيمة الإنسان الذي يأمل في تحقيقه أي مثل أعلى، كل ما تمت الرغبة فيه بالنسبة للإنسان لم يكن إلا محاولات قام بها صنف خاص من الرجال أراد أن يرفع شروط بقائه ونموه إلى مرتبة قانون يحكم الإنسانية، ولكن كل رغبة من هذا القبيل قد حطت من قيمة الإنسان وأضعفت قوته ويقينه في المستقبل(١).

إن أهم نتيجة مترتبة على فكرة موت الإله عند "نيتشه" هي العدول عن الإيمان بالأرواح الخالدة والمثل العليا (٢)، يضرب لنا مثالًا رمزيًا عن الحالة التي نعيش فيها فيقول: "**بعد أن مات بوذا استمروا في إظهار ظله لقرون في كهوف. ظل ضخماً ومخيفاً _مات الإله_ لكن نظرًا للطريقة التي جبل عليها الإنسان ستظل الكهوف لسنين طويلة يعرض فيها ظله _ أما نحن فعلينا الانتصار عليه** (٣)"

إن "نيتشه" يرفض فكرة النموذج الذي ينال قدر من "التقديس" والإجلال خاصة حين يكون هذا النموذج هو المفكر والحكيم ورجل الدين، ويحاول الجميع أن يكونوا نسخة منه ويتبعونه دون تفكير _حتى بعد موته_ ويقيمون له معابد من حجارة، تلك المعابد التي بنيت لتبقى، ويتحول ذلك النموذج إلى إله يحيا من القرابين التي تقدمها النفوس الرقيقة والنادرة، وحينئذ يتحول هذا النموذج إلى قيد تقيد به الإنسانية في المستقبل(٤).

ولكنه يقول إن نهاية هذا المثل الأعلى قد حانت، إن "نيتشه " يرفض أن يعيش في مرحلة من الخضوع والتبعية لفكرة أو لشخص مهما كانت قيمة هذه الفكرة، ويرفض أن يتحول الأفراد إلى قطيع حتى لو كان هو راعي لهذا القطيع، فيقول: "**يجب ألا يكون زرادشت راعياً للقطيع... إنني بحاجة إلى رفقاء أحياء لا إلى رفاق أموات وجثث أحملهم حيثما أريد،...**

(*)" that the ideal has hitherto been the actual force for disparaging the world and man, the poisonous vapor over reality, the great seduction to nothingness"
<<CP. :Nietzsche. F:, The Will to Power ,P:210. >>

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٧٥.

(٢) فريدريش نيتشه: الفجر، ص ٢٥٢

(٣) فريدريش نيتشه: العلم الجذل ١٠٧.

(٤) فريدريش نيتشه: الفجر، ص ٢٦٦.

إني أطلبهم مبدعين ولا أطلبهم جثثًا وقطعانًا ومؤمنين.. المبدع الحقيقي لا يتخذ له رفاقًا إلا ممن كانوا مثله مبدعين، إنه يتخذهم يحفرون سننًا جديدة على ألواح جديدة [١]".

إن المفكر الحقيقي أو المبدع عند "نيتشه" لا يطالب الناس بأن يتخذونه نموذجًا أو مثلًا أعلى، ولا يتخذ لنفسه تلاميذ يفرض عليهم أراءه وأفكاره، بل على العكس يرى أن الأستاذ أو المعلم الحقيقي لا بد أن يحذر مريده من نفسه، و هذا جزء من إنسانيته[٢].

ويعبر "نيتشه" عن هذا المعنى في رسالته التي يوجهها رسالته إلى الإنسانية على لسان "زرادشت" الذي يخاطب أتباعه فيقول:" **هذه نصيحتي إليكم ابتعدوا عني، وقفوا موقف الدفاع عن أنفسكم تجاهي، بل اذهبوا إلى أبعد من هذا، اخجلوا من انتسابكم لي، فلقد أكون لكم خادعًا... أنكم تحوطونني بإجلال، ولكن ما الكارثة التي تتوقعونها من إعراضكم عني؟ إن في رفع الأنصاب خطرًا كبيرًا، فاحترسوا من أن يسقط عليكم التمثال المنصوب فيقضي عليكم... تقولون إنكم تؤمنون بزاردشت، ولكن أية أهميه له؟ ليس الإيمان شيئًا عظيمًا! لذلك آمركم أن تضيعوني لتجدوا أنفسكم، ولن أعود إليكم إلا عندما تكونون قد جحدتموني جميعًا**[٣]".

٤- موت الإله و انهيار مملكة السماء لتأكيد ملكوت الأرض:

كان تحطم المثاليات بكل أشكالها الدينية والفلسفية عند "نيتشه " يتبعه أيضًا نهاية كل تصور لما "يسمي بالعالم الآخر"، إذ يرى "نيتشه" أن الفلاسفة ورجال الدين تعاونوا من أجل رسم صورة لعالم ميتافيزيقي في مقابل العالم الإنساني، وأسبغوا عليه الكمال والجمال المطلق، بل وصار هذا العالم غاية وهدفاً تتجه إليه كل الأنظار ويُبذل في سبيله الكثير من التضحيات، ويرى "نيتشه" أن هذه الفكرة لم تعد صالحة لأي شيء، بل على العكس فهي فكرة غير نافعة وغير مجدية، ولذلك يجب أن نرفضها ونبطلها[٤].

يبدأ "نيتشه" في تحليل السبب وراء رفضه القول بهذا "العالم الآخر" فيرى أن هذه الفكرة تعبر عما يلي:

- **<u>أولًا: تعبر عن طفولية الفكر الإنساني:</u>** ففي الأزمنة الأولى للحضارة البدائية اعتقد الإنسان أنه اكتشف هذا العالم الآخر من ظاهرة "الحلم"، فهو يرى في الحلم عالمًا

(١) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "مستهل زرادشت "، ص٤٤.
(٢) فريدريش نيتشه: الفجر، ص٢٣٢.
(٣) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "الفضيلة الواهبة "، ص١٠٥.
(٤) فريدريش نيتشه: أفول الأصنام،، ص٣٤.

حقيقيًا ثانيًا، ولولا الحلم لما وجد أدنى سبب لتقسيم العالم إلى قسمين، ومنه أيضًا ظهرت فكرة انفصال الروح عن الجسد، وارتبط به أصل كل اعتقاد في الأرواح، وربما أصل الإيمان بالآلهة، وفكرة أن الميت يظل حيًا لأنه يظهر للأحياء في الحلم، إن هذا هو الاستدلال الذي ساد فيما مضى طيلة آلاف السنين [١].

- **ثانيًا: هي إدانة لعالم الصيرورة:** فعجز الإنسان عن فهم فكرة الصيرورة واعتبرها مظهراً من مظاهر النقص، جعلته يبتكر عالمًا يوجد وراء هذا العالم، ويجعله عالم الحقيقة حيث الثبات والاستقرار، ولكن بمجرد ما يفطن الإنسان لكون هذا العالم لم يُشيَّد إلا تلبية لحاجات نفسية، وإنه لا حق فيه، سيبدأ بنفي وجود هذا العالم الماورائي، ويحرم على نفسه الإيمان بهذا العالم، ويقبل بكون الصيرورة هي الحقيقة الوحيدة، ويرفض كل الطرق الملتوية التي تؤدي إلى الماوراء وإلى كل آلهة مزيفة[٢].
- **ثالثًا:هي وسيلة للضغط والإغواء :** لقد تم تصوير هذا العالم باعتباره العالم الموعود لكل إنسان حكيم وورع وفاضل، أو كوسيلة لإغراء المذنب الذي يتوب عن ذنبه، واستخدمها رجال الدين كوسيلة للإغواء[٣]، إن هؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم صورة الإله ومثاله كانت رغبتهم الأساسية تتجه إلى أن يؤمن الناس بهم، ويصبح الشك فيهم خطيئة، وحاولوا ترسيخ تلك الفكرة، إنهم أرادوا الفرار من الأرض، و تراءت لهم الحياة صعبة وبعيدة المنال، فنادوا قائلين: وا أسفاه لم لا تنفتح أمامنا سبل في السماء ننسحب عليها إلى وجود آخر وإلى سعادة أخرى؟ في ذلك الحين اخترعوا أوهامًا وحسبوا أنهم في بعدهم وعقوقهم للأرض قد فازوا بالنعيم بعيدًا عن أجسادهم، ولكنهم في نظر "نيتشه" كالمرضى الذين يتمنى لهم الشفاء من هذا الهوس[٤].
- **رابعًا: هي تعبير عن الاحتقار المثالي للجسد:** يرى "نيتشه" أن فكرة العالم الآخر تعبير عن النظرة الدونية للجسد، فهؤلاء الذين يرون في الجسد كائنًا معتلًا، يودون أن يبارحوا جلودهم، وذلك ما يدفعهم إلى الإصغاء للمبشرين بالموت، وما يهيب بهم إلى التبشير بالعوالم الأخرى، إن الجسد عندما تملكه اليأس من الأرض سمع صوتًا يناديه من قلب الوجود، فأراد أن يخترق برأسه أطراف الحواجز، بل ويحاول العبور

---

(١) فريدريش نيتشه: أنساني مفرط في إنسانيته: ص ١٩.

(٢) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٧٥.

(٣) فريدريش نيتشه: أفول الأصنام،، ص٣٤.

(٤) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "المأخوذون بالعالم الثاني "، ص٥٥، ٥٤.

منها إلى العالم الثاني، غير أن ذلك العالم الثاني المخفي عن الناس، وهو باختفائه وابتعاده عن كل صفة إنسانية ليس إلا العدم[١].

- **<u>خامسًا: استحالة البرهنة على وجوده بالفعل:</u>** فوجود ذلك العالم لا سبيل إلى القطع به، ومعرفتنا به معرفة مستحيلة، وكل البراهين التي تقدم لإثباته براهين واهية سرعان ما تنهار إذا ما تعرضت للبحث الدقيق [٢]، وحتى لو سلمنا بوجود هذا العالم الميتافيزيقي، فلن يكون لنا من سبيل إلى معرفته، ذلك لأن الطابع المطلق الذي يضفي عليه، والصفات الأزلية التي تنسب إليه، تجعله يعلو على الأفهام الإنسانية ويتجاوز حدودها، وهكذا يظل العالم الميتافيزيقي بالنسبة للإنسان كأنه لم يكن[٣].

كل هذه الأسباب دفعت "نيتشه " إلي أن يوجه رسالة شديدة اللهجة إلى هؤلاء المأخوذين بالعالم الآخر على لسان زرادشت فيقول: " **ما أوجدت هذه العوالم الأخرى في هذا العالم سوى الآلام والشعور بالعجز، ذلك ما أوجدته تلك العوالم، فأوجدت معه هذا النوع من الجنون السريع الزوال بسعادة ما ذاق منها الناس إلا آلامًا.. إن المتعب الذي يطمح إلى اجتياز أبعد مدى بطفرة واحدة، وبطفرة قاتلة، وقد بلغت منه مسكنته وجهالته حدًا لا يستطيع عنده أن يريد، إنما هو نفسه مبدع جميع الآلهة، وجميع العوالم الأخرى** [٤]"

ولذلك يعلن نيتشه أننا صرنا بشرًا ولهذا لا نريد إلا ملكوت الأرض في محاولة منه لاستعادة الإنسان لكرامته ورد الاعتبار للحياة الدنيا، وكل ما هو تحت الشمس، فيقول: "**لقد علمتني ذاتي عزة جديدة أعلمها للناس الآن: علمتني ألا اخفض رأسي بعد الآن في رمال الأشياء السماوية، بل أرفعها عزيزة ترابية تبتدع معنى الأرض**[٥]**.... إنني أستمع الآن إلى هذا الصوت المُلح و المغوي الذي يعلن هذا "إلهُنا"، هذا "مسكني"، هذا هو ما أحببته حتى ذلك الحين**[٦]".

---

(١) المصدر نفسه ص٥٣، ٥٤.

(٢) فريدريش نيتشه:أفول الأصنام،، ص٣٣

(٣) فؤاد زكريا:نيتشه، ص٧٢، ٧١.

(٤) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "المأخوذون بالعالم الثاني "، ص٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ٥٤.

(٦) فريدريش نيتشه: أنساني مفرط في إنسانيته: ص ١١.

٥- موت الإله يعني : التحرر من روح الثقل الميتافيزيقي أو العلو عن الميراث الميتافيزيقي التقليدي:

يعد "نيتشه" واحدًا من أهم الفلاسفة الذين وجهوا نقدًا عنيفًا وشديدًا للميتافيزيقا التقليدية، بل دخل معها في حربٍ ضروس، تناول فيها كل مبادئها الرئيسة بالتفنيد والرد، حتى وصل به الأمر إلى حد تقديم تعريف ساخر للميتافيزيقا باعتبارها: " العلم الذي يبحث في الأخطاء الأساسية للإنسان، كما لو كانت هي الحقائق الأساسية"(*)، فالميتافيزيقا التقليدية عنده كانت تمثل كل ما خلفه ماضي العقل الإنساني من أخطاء، وكان الهدف من هذا النقد هو القضاء على ما تدعيه تلك الميتافيزيقا لنفسها من تَرفُع عن هذا العالم وعلوُّ عليه، والاتجاه إلى العالم المفارق الذي تخلقه وتضفي عليه من الفضائل ما تأباه على عالمنا الأرضي(١).

لقد أطلق "نيتشه" على الأفكار التي خلفتها الميتافيزيقا التقليدية اسم "روح الثقل" والثقل هنا يشير إلى: الحياة المنهارة التي تأخذ كل شيء مأخذًا ثقيلًا، والتي تحمل نَفسها مثل الجمل في الصحراء يحمل على ظهره أثقالًا لا يدري عنها شيء _ في إشارة إلى الإنسان الذي يحمل على كتفيه عبء أفكار ومعتقدات وضعها عليه غيره _ تحت ستار الأخلاق والدين، فتلقي على العالم نظرة حزينة وقاسية(٢).

ولكن "نيتشه" يريد أن يُخلص الإنسانية من هذا الثقل، ويرى "نيتشه" أن المتنورين فقط هم من ينجحون في التحرر تمامًا من هذه الميتافيزيقا، وينظرون إليها وقد خلفوها وراءهم، نظرة تفوق (٣)، لينضموا إلى "زرادشت" حين يدعو قائلًا:" **هيا بنا نقتل الروح الثقيل، وإنني ما زلت راكضًا منذ تعلمت المشي، وها أنا ذا أطير، ولست بحاجة إلى من يدفعني لأتحرك، لقد أصبحت خفيفًا فأطير محلقًا فوق ذاتي، أشعر بأن إلهًا يرقص في داخلي**(**)(٤)"

(*) " one may designate it the science that treats of the fundamental errors of mankind - but does so as though they were fundamental truths. "
<<CP. : Nietzsche,F. : Human ،All Too Human,P:22>>

(١) فريدريش نيتشه: أنساني مفرط في إنسانيته: ص ٢٨، فؤاد زكريا:نيتشه، ص٧٦.

(٢) أويجين فنك "فلسفة نيتشه"، ترجمة :إلياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٨٤. ص١٠٨_١١١.

نقلًا عن صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٤٠٧، ٤٠٨.

(٣) فريدريش نيتشه: أنساني مفرط في إنسانيته: ص ٣٠.

(**) " let us kill the spirit of gravity! I learned to walk, since then I let myself run. I learned to fly, since then I do not wait to be pushed to move from the spot. Now I am light, now I fly, now I see myself beneath me, now a god dances through me.
<<CP. :Nietzsche. F: Thus Spoke Zarathustra, On Reading and Writing,p: 28>>

(٤) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، القراءة والكتابة "، ص٦٦.

وهنا يظهر لنا "نيتشه" صورة جديدة للإله وهي الإله الذي يرقص فيقول: " **إن الإله الذي يمكنني أن أؤمن به هو الإله الذي يمكنه أن يرقص.** [١]**.... أنا من يدافع عن الإله أمام الشيطان، وما الشيطان إلا روح الثقل**"[٢]

من الواضح هنا أن كلمة "الإله" في مقابلها "الشيطان" لا تدل على أي مدلول ديني، ولكنه هنا عندما يذكر الإله فهو يعني الروح الخفيفة الراقصة والمرحة والقادرة على الإبداع التي تقف على طرفي النقيض مع روح الثقل، وهذه الروح الخفيفة الضرورية للإبداع والتحرر، وكأن لسان حاله يريد أن يقول: إن الإله الذي يمكنني أن أؤمن به هو الذي يفتح المجال الأقصى أمام حرية الإنسان. فيكون بهذا قد جعل من الرقص رمزًا للتحرر من كل صنم قام الإنسان بتأليهه في الميراث الميتافيزيقي وكان يعوق الحرية الإنسانية[٣].

إن "نيتشه" استخدم رمز الرقص باعتباره "منهجًا لتحرير العقل والجسد[**]"[٤]، هو تجسيد للحركة الحية الفعالة التي يستطيع من خلالها أن تشرك الجسد بانفعالاته وأحاسيسه في عملية التفلسف التي انفرد بها العقل على مدى ما يقرب من خمسة وعشرين قرنًا من الزمان، إن الرقص عند "نيتشه" فعل من أفعال المقاومة العنيدة والمستمرة، ودرجة من درجات الوعي النقدي، ورغبة عارمة في التواصل المتبادل، وتوق محموم إلى تحطيم كل الأفكار والأصنام القديمة[٥].

ولم يقف "نيتشه" عند هذا الحد فحسب؛ فهذا المنهج عند "نيتشه" له خطوات يتحدث عنها فيقول :" **وأنا أيضًا تعلمت الانتظار زمنًا طويلًا، ولكن ما انتظرته إنما هو أنا، وقد تمرنت على أن أقف وأمشي وأركض، وأقفز وأتسلق، وأرقص... فمن يريد أن يتعلم الطيران يومًا عليه أن يتدرب أولًا على الوقوف، فالركض، فالقفز، فالتسلق، فالرقص، وليس لأحد أن يسرع إلى الطيران رأسًا**[٦].

---

(١) المصدر نفسه، القراءة والكتابة "، ص٦٥

(٢) المصدر نفسه، نشيد الرقص "، ص١٣٥.

(٣) صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٣٥٨، ٣٥٧.

(**) "a method of liberating both mind and body"

(4)Diethe,C. : Historical Dictionary of Nietzscheanism, Art. "Dance", The Scarecrow Press, Second Edition,U. S. A,2007,P:51.

(٥) حسن طلب: فلنرقص مع "نيتشه"، مجلة إبداع، مجلد رقم ١٩، عدد ٩، سبتمبر ٢٠٠١، ص١٥، ١٤.

(٦) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، الروح الثقيل"، ص١٣٥.

إن كل هذه الكلمات ما هي إلا معانٍ رمزية لمراحل يمر بها الإنسان حتى يستطيع أن يتحرر من هذا الميراث الثقيل، وهذا التحرر هو الذي أسماه "نيتشه" بالطيران، وهذا الطيران يستلزم " الخفة" التي يرمز بها إلى الإبداع في مقابل روح "الثقل والجمود" التي وضعت على كاهل الإنسان، ويعبر "نيتشه عن هذا الأمر قائلًا:

" **آه يا نفسي ! لقد حررتك من كل قيد خفي، وطهرتك من الأدران، ونفضت عنك التراب والعنكبوت والظلال... آه يا نفسي لقد نفضت عنك صغائر حياتك وأقنعتك بالخروج عارية أمام الشمس... والآن يعلو الإنسان العلو الحق الذي يربطك بالعالم، ويقف مثل زرادشت عاريًا أمام الشمس، وقد ترك وراءه كل الظلال القديمة التي فسرت الحياة بالخطيئة والذنب، وصورت له عالم آخر وراء هذا العالم، وأخلاقًا أخرى غير أخلاق القوة والشجاعة والخطر _ إن روحه تطارد السحب جميعًا من سمائها وتتحرر من التراث المسيحي والأفلاطوني، وتخرج إلى آفاق العالم الرحب بعدما اكتشفت سر الزمان والمكان**"[١].

إن "نيتشه" يطلب كذلك من المفكرين أن يتخلصوا من أثقال الماضي ولا يضيفوا أثقالاً أخرى، وليجعلوا هدفهم الرئيس هو كيف يتعلم كل إنسان كيف يرقص ويطير، فيقول:

" **أيها المفكرون الأقوياء والأُباة، نطلب منكم شيئاً واحدًا، لا تضيفوا ثقلًا جديدًا إلى أثقالنا، ولكن احملوا عنا عبء جزء من أعبائنا، ولكنكم تحبون العكس لأنكم لا تريدون التحليق**[٢]"..... **إن الألف والياء عندي هما أن تتحول كل كثافة إلى خفة ورشاقة، فيصبح كل ثقيل خفيفًا، وكل جسم راقصًا، وكل فكر طائرًا، الحق أن في هذا كل بداية ونهاية**[٣]"

٦- موت الإله يمثل الخروج من العدمية" Nihilism" باختيار أصعب الطرق وأشدها ألماً:

يقول "نيتشه" في كتابه إرادة القوة : " **فما الذي حدث إجمالاً ؟لقد توصلنا إلي الشعور باللا قيمة، وأدركنا أن لا يمكننا تفسير الطابع العام للوجود بفكرة "الغاية"، ولا بفكرة "الوحدة"، ولا بفكرة "الحقيقة"... كل هذا لا يؤدي إلي تحقيق أي شيء؛ فالوحدة التي تحدث في خضم تعدد الأحداث لا وجود لها، وطابع الوجود ليس "حقيقياً " بل هو مزيف،**

---

(١) عبد الغفار مكاوي:مدرسة الحكمة، ص٢١٠.

نقلًا عن صفاء عبد السلام جعفر:محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٤٠٩.

(٢) فريدريش نيتشه: الفجر، ص ٢٥٦.

(٣) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "نشيد آخر للرقص"، ص٢٦٣.

كما أنه لم يعد يوجد سبب معقول يجعلنا نقنع أنفسنا بوجود عالم ما ورائي.... باختصار يمكننا القول أن مقولات "السبب الغائي"، و"الوحدة"، و"الكينونة" التي أضفناها علي هذا العالم قد سحبناها نحن، فأصبح العالم منذ ذلك الحين يبدو وكأنه بلا قيمة(*)" (١)".

لم يكن النقد الذي وجهه "نيتشه" إلي كل الأفكار السابقة سوي مقدمة ليعلن بها أن كل القيم والأفكار التي كنا نؤمن بها ونقدسها قد فقدت قيمتها، ووضح زيفها، والحياة الإنسانية لم يعد لها أي خلفية أو جذور ترتكز عليها، ولم تعد تشملها حكمة تقع فيما وراء حدود ذاتها، ولم تعد توجهها معايير تدعي لنفسها المشروعية المطلقة، ولم تعد الإنسانية تعرف أي مخاطرة عنيفة سوف تتعرض لها، والآن قد حرمت من الأمان القديم، ما الذي يحدق بها من كل جانب ؟لا شيء سوي العدمية _العدمية تتوعدنا(٢).

هنا نقف لنسأل "نيتشه" ما العدمية؟ وما أسبابها؟ ولماذا يري أنها أصبحت أمراً حتمياً؟ وما علاقة العدمية بفكرة موت الإله؟

وسنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات تباعاً.

أولاً: ما العدمية؟

تُعرف المعاجم الفلسفية "العدمية" علي إنها:" **ذلك المذهب القائل بأنه لاشيء من نوع عام أو خاص موجود أو يمكن معرفته أو له قيمة.** (*)"، والجدير بالذكر أن أول من قال بهذا الفكر هو "جوجياس السوفسطائي"(٥٠٠ق. م_٤٢٧ق. م) في مؤلفه الذي عنوانه "في الوجود أو في الطبيعة"، ولخص فيه هذا الفكر العدمي في ثلاث قضايا هي لاشيء موجود، ولو وجد شيء فلا يمكن معرفته، و حتى لو أمكن معرفته فلا يمكن نقله إلي الغير(٣).

(*)What has happened, at bottom? The feeling of valuelessness was reached with the realization that the overall character of existence may not be interpreted by means of the concept of "aim"، the concept of "unity," or the concept of "truth. " Existence has no goal or end; any comprehensive unity in the plurality of events is lacking: the character of existence is not "true," is false. One simply lacks any reason for convincing oneself that there is a true world. Briefly :the categories "aim" "،unity," "being "which we used to project some value into the world-we pull out again؛ so the world looks valueless.

<<CP. :Nietzsche,F:, The Will to Power,P:13>>

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٧.

(٢) صفاء عبد السلام جعفر:محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص٣٦٠.

(*) "Nihilism: The doctrine that nothing, or nothing of a specified and very general class, exists, or is knowable, or is valuable. "

(3) Dagobert D. Runes: The Dictionary of Philosophy, Art:" Nihilism" ,P: 210.

أما العدمية كمذهب اجتماعي فتؤمن أن التقدم لا يكون إلا من خلال تدمير كل النظم السياسية والاجتماعية، وفي مجال الأخلاق تعرف العدمية الأخلاقية باعتبارها" **إنكار مشروعية كل تمييزات القيم الأخلاقية بما يتضمنه هذا الموقف من إنكار إمكانية كل فلسفة أخلاقية قائمة** (*)"(١)، أما من وجهة النظر الوجودية فتري أن العدمية : "**وجهة النظر التي تري أن الحياة تفتقر إلي المعني أو الغرض وأن لاشيء له معني يمكن أو يجب التأكيد عليه**(**) (٢)".

أما "نيتشه" فيعرف العدمية في مؤلفه إرادة القوة قائلاً:" **العدمية تعني :أن القيم العليا تُنتقص قيمتها، ونفتقر إلي الهدف، كما لم ثمة جواب علي السؤال "لماذا"**(٣)**... لقد حصل التناقض بين العالم الذي نبجله ونقدسه، والعالم الذي نعيش فيه الذي نشكله نحن، ولم يبقي أمامنا سوي أمرين، إما القضاء علي تبجيلنا، أو القضاء علي أنفسنا، وهذه الحالة الأخيرة هي العدمية.** (***)(٤)

إن العدمية عند "نيتشه" تمثل مرحلة مرضية وانتقالية يجب أن نمر بها ونحاول اجتيازها؛ فالصفة المرضية تنشأ من الافتقار للمعني والقيمة بصفة مطلقة ؛ فالقيم العليا لم تعد قيماً بعد، و لم تعد هناك غاية من الوجود، وكل شيء مضطرب ومزعزع، والطريق الذي نسلك فيه زاخر بالأخطار، وهي بذلك تستتبع تحولاً في الوجود الإنساني، فيبدو الوجود و كأنه قد فقد القيمة أو أضحي بلا معني، ولا يعبر ذلك كله إلا عن مرحلة انتقالية يتم التغلب عليها عندما لا ننتقص من قيمة عالمنا الأرضي، بل نعتبره عالماً يشع في ضياء تجربة جديدة للوجود(٥).

.أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص ١٢٧

(*)"Nihilism ،ethical: The denial of the validity of all distinctions of moral value. As this position involves in effect the denial of possibility of all ethical philosophy.

(1) Dagobert D. Runes: The Dictionary of Philosophy, Art:" Nihilism", "Nihilism ، ethical ",P: 210.

(**) the view that life lacks meaning or purpose, or alternately, that nothing meaningful can or should be affirmed.

(2)Michelman, S. : "Historical Dictionary of Existentialism", Art: " Nihilism" ,P: 247.

(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٣.

(***) What does nihilism mean? That the highest values devaluate themselves. The aim is lacking; "why" finds no answer…… What is dawning is the opposition of the world we revere and the world we live and are. So we can abolish either our reverence or ourselves. The latter constitutes nihilism.

<<CP. :Nietzsche,F:, The Will to Power,P:9,45. >>

(٤) المصدر نفسه، ص١١.

(٥) أويجين فنك "فلسفة نيتشه"، ترجمة :إلياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٨٤. ص١٠٨_١١١.

والعدمية عند "نيتشه" "حتمية" لأنها تمثل آخر مآل منطقي لقيمنا الكبرى ولمثلنا الأعلى، ولكن علينا أن نجتاز العدمية لكي ندرك القيمة الحقيقية لهاته "القيم" التي سادت فيما مضي. مهما تكن هاته الحركة فإننا سنحتاج يوماً إلي قيم جديدة "

ويري "نيتشه" نفسه "أول عدمي كامل في أوروبا، ولكنه تجاوز العدمية فقد عاشها _ والآن يراها من ورائه، وأسفل منه وبعيداً عنه"(١)

ثانياً: أسباب العدمية ومظاهرها :

وكرجل اجتاز العدمية، وينظر إليها من بعيد، يحاول "نيتشه" أن يوضح لنا أسباب العدمية ومظاهرها؛ ويري أن العدمية ظهرت في بادئ الأمر باعتبارها شرطاً نفسياً اتخذ صوراً ثلاث :

- **الصورة الأولي: محاولة البحث عن معني:** يري "نيتشه" أن العدمية قد "ظهرت" عندما أجهدنا نفسنا بمحاولة إضفاء معني علي كل ما يحدث، وهذا المعني ليس منه في شيء، لقد حاول الإنسان دائما أن يبحث عن الغاية، ولكنه فشل في الوصول إلي هذه الغاية، وتولد عن هذا الفشل ألم معنوي اقترن بفكرة "اللاجدوي"، و "اللا يقين"، وظهر خجل المرء من نفسه، وكأنه قد خدع زمناً طويلاً. وكان من الممكن أن تكون هذه الحالة بداية جيدة، ولكن ذلك لم يحدث.
- **الصورة الثانية : اعتبار كل ما يوجد صادراً عن كائن كلي:** وأن كل ما يحدث يحدث بشكل ممنهج وخاضع لنظام، بحيث يجعل من هذه النفس التواقة للاحترام والإعجاب تؤمن بفكرة هيمنة وتحكم هذا الكائن العلوي، وكنتيجة لهذا الاعتقاد يشعر الإنسان بإتحاد كبير مع هذا الكائن الكلي وبتبعية له، والحقيقية إنه لا وجود لهذا الكائن العلوي، بل أن الإنسان فقد إيمانه بقيمته، وأبتكر هذا الكائن ليضفي المصداقية علي قيمته هو(*).

نقلاً عن صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٤٠٧، ٤٠٨.

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص٨

(*) إن الكائن العلوي الذي يقصده "نيتشه" ليس هو الإله بالمعني الديني، ولكن "نيتشه" هنا ينفي وجود الصورة التي وصلت إلينا عبر التراث الفلسفي، خاصة من "أفلاطون" و"أرسطو"، فيما يتعلق بفكرة الإله الصانع " الذي صنع الكون، وخلق المادة، ونظمها وشَكَّلها بحسب النموذج المثالي للموجدات، كما نسب إليه فكرة "العناية الإلهية"، التي تتلخص في تحقيق النموذج المثالي في المادة المحسوسة بقدر الإمكان، وقد تسللت هذه الفكرة بعد ذلك في فكر "أرسطو" حين رأي أن المحرك الأول هو المنظم الوحيد لهذا العالم وهو علة النظام، فكل الأشياء منظمة في الكون

- **<u>الصورة الثالثة : عدم تقبل حقيقة الصيرورة</u>**:فعندما يشعر الإنسان أن الصيرورة لا يمكن أن يتحقق بواسطتها أي شي، وبما أن هذه الصيرورة لا تتحكم فيها وحدة عظيمة يمكن للفرد أن يتلاشي فيها، فلا يجد الفرد مهرباً سوي إدانة عالم الصيرورة باختلاق عالم أخر يكون هو العالم الحقيقي، ولكن بمجرد أن يفطن الإنسان لكون هذا العالم لم يشيد إلا كنتيجة لحاجات نفسية وانه لا حق فيه، يبدأ شكل من أشكال العدمية في الظهور[١].

إذن فالعدمية عند "نيتشه" هي طريقة في التفكير، وحالة سيكولوجية تنشأ كنتيجة مباشرة للشك الذي يفيد عدم وجود سلطة أخلاقية خارجية أو داخلية بالمعني الحقيقي، والشعور بفقدان القيم هذا يصيبنا بالذعر، و عندما ندرك أن الوجود لا يمكن تأويله بالمفاهيم التي كانت سائدة فيما مضي مثل القصد والوحدة والغاية والحقيقة، وهذه المقولات المثقلة بالقيم هي التي أضفناها نحن إلي العالم، وعندما نهجرها يظهر العالم عالماً عديم القيمة[٢].

ويري "نيتشه" أن الأخلاق المسيحية قد ساعدت علي نمو العدمية حين زعمت هذه الأخلاق أنها تكفل للإنسان قيمة مطلقة، فتعارض وجوده العرضي في فيضان الصيرورة، وتخدم المدافعين عن الإله وتزعم أن لدي الإنسان معرفة بالقيم المطلقة، ومن ثم لديه معرفة كافية عن أكثر الأشياء أهمية. ومن جانب آخر يري أن الإيمان بمقولات العقل هو أيضاً سبب من أسباب العدمية.

والخلاصة: إن كل القيم التي حاولنا من خلالها حتى الآن أن نجعل العالم ذا قدر في نظرنا، والتي بواسطتها انتقصنا من قيمته، وقيمة أنفسنا، ذلك حين تعذر تطبيقها، هي كلها من وجهة نظر فلسفية نتائج لبعض منظورات المنفعة التي وضعت لتحافظ علي المجالات التي يهيمن عليها الإنسان، ولكنها سقطت بشكل خاطئ على جوهر الأشياء. إن سذاجة الإنسان المتسمة بالغلو هي التي تجعله دائماً يعتبر نفسه هو معني الأشياء ومعيارها [٣].

بشكل معين يجعلها جميعاً متجهة نحو غاية معينة وفي إئتلاف كامل، ومن هنا يظهر الارتباط بين "الكائن العلوي" و" فكرة العلة الأولي"، وومفهوم الغائية التي سبق وانتقدها "نيتشه".

<< انظر: أميرة حلمي مطر الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ص ٢٩٤، ٢٩٣، ١٩٥، ١٩٤>>

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٦.

(٢) غنار سكيربك : تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ص ٧٣٤.

(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٨.

ثالثاً: علاقة العدمية بفكرة موت الإله.

يري "نيتشه" أن فكرة "موت الإله"هي التعبير الأمثل عن فكرة العدمية، كما تكشف لنا أن كلمة "الإله" تبتعد عن أي دلالة دينية، بل تظهر باعتبارها"علم وجود" يظهر في صورة أخلاق معادية للحياة، أي أن "نيتشه" يتناول تحت قناع كلمة "الإله" العلاقة بين الفكرة الأنطولوجية والمثل الأخلاقي الأعلى، أو التمييز بين الأصيل واللا أصيل، و"نيتشه" حينما يتكلم عن الإله فهو يتكلم عن صيغة من صيغ الانطولوجيا(١).

وهنا يظهر هدف "نيتشه" الرئيس وهو "قلب الأنطولوجيا التقليدية "، أو بمعني آخر "صياغة التقويم الأنطولوجي والأخلاقي بالمقلوب" وما يتضمن من علو ديني يقوم علي ضرورة تحرير الموجود من الانطولوجيا الأخلاقية، ويدعو إلي براءة جديدة في الحياة، وهذا ما يعني التحول في جميع القيم أو إعادة تقويم القيم (٢).

إن فكرة موت الإله عند "نيتشه" تعني نظرة جديدة إلي العالم تحرره من الوهم توقظ عند "نيتشه" فهماً جديد للعالم لا بداية له ولا هدف، وفي التقاليد المسيحية ترسو الأخلاق والحقيقة بثبات عند فكرة الإله، لذا فإذا مات الإله، فإن الأساس الذي ترتكز عليه يتداعي، فلاشيء حقيقي وكل شيء جائز، كما أن تلاشي أو اضمحلال الاعتقاد بالإله يفتح الطريق لطاقات الإنسان الخلاقة كي يتطور بكل ما في الكلمة من معني، فلم تعد عين الإنسان تتجه إلي مجال فائق للطبيعة أو للعالم الأخر بل إلي عالمنا هذا وحياتنا هذه. إن "نيتشه" يحاول أن يسترد كل الجمال والسمو الذين منحناهما للأشياء الخيالية بوصفهما ملك الإنسان ومن إنتاجه(٣).

يقول "نيتشه" :" **إن رسالتي هي إعداد الإنسانية من أجل لحظة بعينها تمثل أقصي مراحل الوعي لحظة الظهيرة العظمي(*)(١)..... لقد أصبح هذا المستقبل يخاطبنا بلسان**

---

(١) صفاء عبد السلام جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٣٦٣.

(٢) المرجع نفسه ص ٣٦٢.

(٣) غنار سكيربك : تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ص ٧٣٤& صفاء عبد السلام جعفر:محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٣٦١.

(*)"My task, preparing for humanity's moment of highest self-examination, a great noon"
<<CP. :Nietzsche, F. : Ecce Homo, "daybreak",2>>
<<CP. :Nietzsche, F. : The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols,P:121>

يتحدث "نيتشه" هنا عن لحظة الظهيرة العظمي أو لحظة أقصر ظل في إشارة منه إلي "أفلاطون" في تمييزه بين عالم الحقيقة عالم المثل، والعالم الحسي، إذ يرى أن العالم الحسي المرئي الذي تظنه العامة عالم الحقيقة ما هو إلا عالم الظلال، أما العالم الخارجي الذي تغمره الشمس بالضياء هو عالم الحقائق العقلية أو عالم المثل.

علامته وتباشيره العديدة والقدر المحتوم يعلن نفسه في كل مكان، وكل الأسماع مرهفة لسماع موسيقي المستقبل هذه [٢]"

إن نقطة التحول حانت : فإما أن يغرق الإنسان في أوهامه ويظل خاضعاً وخانعاً أو يتغلب علي العدمية، والإنسان الحقيقي هو من يختار الاختيار الأصعب بالرغم من أنه يعرف مدي المخاطرة التي سيلقي بنفسه في خضمها، لقد تمرد الإنسان علي كل القيم العليا، وقتل هذا التمرد والعصيان الإله، لأنه شاهد عمق وهوية الإنسان، وكل معانيه الخفية، وكل قبحه الداخلي، ولا يستطيع الإنسان أن يحتمل وجود شاهد عليه، ولذا كان لزاماً عليه أن يموت، والآن وقد ومات، أصبح الإنسان يواجه محيطاً من الريبة والشك، فهل هناك من يحتمل هذه الحال؟!. إنه بطل لا محال[٣] إن هذه هي مهمة "الإنسان المتفوق": ليس فقط إبطال قيم الماضي ولكن القدرة علي إبداع القيم الجديدة.

١- موت الإله هو تأكيد الطابع البطولي للإنسان.

"ما الذي يجعل منك بطلاً ؟إن تحقق أبلغ معاناه، وأقصي أملٍ لك في الوقت نفسه"[*][٤]

يري "نيتشه" أن الإنسان الذي أستطاع أن يتخلص من الأفكار القديمة مهما كان قدر التبجيل والتقديس الذي يحيط بها، هو بطل، فهناك من الأشخاص الذين يصفهم "نيتشه" بالكسالى الذين تحول لديهم التفكير إلي شيء شاق وبائس، والطاعة مريحة أكثر من التفحص، واعتقادهم بأنهم يملكون الحقيقة يعطيهم نوعاً من الطمأنينة والسلام الزائف[٥].

ولكن البطل عند "نيتشه" هو الذي لا يستسلم ويطمئن لهذه الراحة الزائفة، ولكن عليه دائماً أن يتفوق علي نفسه[٦]، لابد أن يتحلي بالقوة والشجاعة التي تمكنه من أن يخوض الحرب علي كل ما خلفه تراث الفكر لسنوات وقرون ماضية، وحد من قدرة الإنسان علي

---

(١) فريدريش نيتشه: هوذا الإنسان، ص١٠٧.

(٢) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص٧.

(٣) صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٣٦٣.

(*) What makes one heroic? - To approach at the same time one's highest suffering and one's highest hope. "

<<CP. :Nietzsche, F. : The Gay Science,p:152. >>

(٤) فريدريش نيتشه: العلم الجذل، ص١٤٩.

(٥) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص١٩٨.

(٦) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "العظماء" ص١٤٦

الإبداع، تلك الأفكار التي أطلق عليها "نيتشه" اسم الآلهة" أو"الأصنام"، والآن وقد تحطمت كل هذه الأصنام، وماتت كل الآلهة، ولم يبقي سوى الإنسان، فمن يقدر أن يتحمل هذا المشهد القاسي؟!، ويتحدث "نيتشه" عن هذه الحالة فيقول :

" **لن تصلي بعد الآن، ولن تتعبد بعد الآن إطلاقاً، ولن ترتاح بعد الآن في ثقة متناهية_ستمتنع عن التوقف أمام أسمي حكمة، أسمي طيبة، أسمي قدرة، ولن تفرغ حمولة أفكارك _ لن تحصل علي أي صديق ولا حارس مثابر لوحدتك، ستعيش من دون متعة لمرأى سلسلة الجبال التي تحمل الثلوج علي قممها والوهج في قلبها_لن يكون هناك من منتقم، ولا من مصلح أخير، ولن يكون هناك من علة، ولا حب فيما سيحصل لك _ ولا مكان مفتوح لراحة قلبك.... ستمتنع عن السلام النهائي، وستريد العود الأبدي للحرب وللسلام.... يا إنسان التخلي أتريد أن تتخلي عن كل ذلك ؟من سيعطيك القوة ؟ما من أحد يملكها حتى الآن!.** [١]"

إن القوة الحقيقة توجد داخل الإنسان، توجد في قدرته في التفوق علي ذاته، توجد في قدرته علي الإبداع، والإبداع عند"نيتشه" هو ضرورة قصوى، وهو الوجود بمعناه السامي، ومن ثم فهو أساس كل عمل جوهري، لأن الحرية والعظمة لا تكون إلا في الإبداع، ومتى صار الإنسان مبدعاً، فهو وقتئذ تحرر من سلطة الإله، بل من كل سلطة بل تحول هو إلي اله[٢].

ولكن " نيتشه" يلفت النظر إلي أن ذلك البطل لابد أن لا يقترب إلي مرتبة البطل الكامل[٣]، وإلا فقد حياته، وتحول إلي صنم جديد، فيقول " **لقد وجب عليَّ أن أكون أنا الجهاد والمستقبل والهدف، وأن أكون في الوقت نفسه الحائل الذي يعترضني في إنطلاقي إلي هدفي.... ومهما كان الشيء الذي أبدعه، ومهما بلغ حبي له فإن علي أن أنقلب خصماً له، وأتحول عن حبي وحناني، ذلك ما اقتضته إرادتي عليَّ**[٤]"

وفي النهاية يوجه "نيتشه رسالة إلي هذا الإنسان فيقول :" **استحلفك بحبي ورجائي، لا تقض علي البطل الموجود في نفسك**"[٥]

---

(١) فريدريش نيتشه: العلم الجذل، ص١٥٧، ١٥٦.
(٢) بولس سلامة: الصراع في الوجود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٢١٤.
(٣) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "العظماء للرقص"، ص ١٤٧.
(٤) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "الانتصار علي الذات"، ص١٤٣.
(٥) فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت، "نشيد آخر للرقص"، ص٦٩.

من خلال كل ما سبق نري أن كلمة "الإله" عند "نيتشه" لم تكن تحمل أي دلالة دينية علي الإطلاق، وإنما يشير قناع "كلمة الإله" إلي العلاقة بين الفكرة الأنطولوجية و المثل الأخلاقي الأعلى، فهدفه هو "قلب الأنطولوجيا التقليدية"، وتحرير الموجود من الأنطولوجيا الأخلاقية، والدعوة إلي براءة جديدة في الحياة، وإعادة تقويم القيم[١].

(١) صفاء عبد السلام جعفر :محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، ص ٤٥٣.

الخاتمة

والآن وبعد هذا العرض يمكننا أن نجيب عن التساؤلات التي طرحنها في التمهيد للبحث كالتالي:

أولاً : فيما يخص السؤال الأول عن المحور الرئيس في فلسفة "نيتشه":

وجدنا أن "نيتشه" لم يكن فيلسوفًا بالمعنى المألوف، الفيلسوف الذي يقدم مذهبًا شاملًا ومتكاملًا يضع فيه نظريته ورؤيته الخاصة، بل يمكن النظر إليه باعتباره مفكراً حضارياً من الطراز الأول، ورسالته الأساسية كانت نقد الحضارة التي كان معاصراً لها.

فوجد أن الحضارة الأوروبية أصبحت مهددة بالانهيار، فهي لازالت تعيش تحت وطأة أفكار سائدة منذ قرون طويلة، وسلمت بها وبالغت في احترامها حتى وصلت إلى حد التقديس، وبدت الصورة يحتل فيها العقل مركز الصدارة في صنع العالم، وتم رفض كل المظاهر الحسية، وأصبحت الأهمية الأولى تُعطى لمبادئ الفكر والعقل دون أن تعطي الاهتمام الأول لمن يمتلك هذا العقل.

لذا فقد كان المشروع الأساسي عند "نيتشه" هو رد الاعتبار للإنسان، وإعادته إلي الأرض بعيداً عن أحلامه حول المتسامي والخالد، ونحو البعد البيولوجي وغرائزه ودوافعه، تحت ما أسماه "إرادة القوة"، والمقصود بالقوة هنا "قوة الاستقلال" و"قوة الرغبة" التي تتجلي في قدرة الإنسان علي إبداع قيمه الخاصة.

ثانياً : أما السؤال الثاني عن مظاهر ثورة النقد عند نيتشه

نجد أن "نيتشه" يتقمص شخصية سفسطائي في القرن التاسع عشر ليوجه النقد لكل مظاهر ما أسماه "انحطاط الحضارة" أو "أفول الحضارة"، متشبهاً بالسفسطائيين في مجالات نقدهم لحضارة عصرهم، فوجه النقد إلى:

أ- نقد الحقيقة المطلقة

رأي "نيتشه" أن الحقيقة قد ارتبطت بالنزعة العقلية باعتبارها الأكثر ثباتًا، واصطبغت بصبغة أزلية، وكونت عالمًا قائمًا بذاته وهو "عالم المطلق"، وفي هذا العالم تستقر كل الأزليات الأخرى التي عرفها الفكر الإنساني من مُثل أفلاطونية، و أشياء في ذاتها، ومبادئ مطلقة، وعلل أولى.

أما "نيتشه" فيربط الحقيقة بالحياة في تغيرها وصيرورتها مؤكدًا إنه لا توجد حقيقة مطلقة، وأن كل ما هو واقعي وصادق ليس واحدًا، ولا يرد إلى الواحد؛ بل توجد كثرة من

الحقائق، ويعبر "نيتشه " عن ذلك المعني فيقول :" **لا توجد حقائق _ كل شيء يعبر عن فيضان لا يمكن إدراكه، يهرب ويفر منا، وما يبقى نسبيًا هو معتقداتنا وآرائنا**[١].

وهو بذلك قام بالعمل نفسه الذي قام به السفسطائيون قديمًا، فقد جعل الحقيقة تهبط من سمائها الميتافيزيقية والمنطقية لتتخذ مكانها في الصعيد النفسي والأخلاقي وتصبح صورة من صور الاعتقاد، واختيارًا شخصيًا يعيشه الإنسان، وينعدم التمييز القديم بين الحق والباطل، وتصبح جميع التأكيدات تعبيرات ذاتية عن الشخصية العينية، ولم تعد ثمة حقيقة إلا الإنسان الذي لا يوجد وجودًا نهائيًا، وإنما هو في حال صيرورة دائمة.

ب- نقد الأخلاق المطلقة والتأكيد علي نسبية الخير والشر:

وجد "نيتشه" أن السفسطائيين يقدمون أول نقد للأخلاق، حين وضعوا الحقيقة الأولي التي مفادها أن ا"لأخلاق في ذاتها"، و"الخير في ذاته" لا وجود لهما، وأن الحديث عن الحقيقة في هذا الميدان ضرب من الجنون.

ويتفق "نيتشه" معهم في هذا الأمر، فكما رفض من قبل فكرة الحقيقة المطلقة يرفض بشده فكرة الأخلاق المطلقة، فيقول: "**أن الأخلاق في كونها تدين بالمطلق وليس بالقياس إلى الحياة أو مراعاة الحياة، هي خطأ جوهري لا يوحي بأية شفقة، ويتعلق بمزاج منحط**"[٢].

يحاول "نيتشه" أن يربط القيم بالحياة، كما ربط الحقيقة بالحياة في صيرورتها وتغيرها فيقول: " **عندما نتحدث عن القيم فإنما نتحدث بوحي، نتحدث عن الحياة عينها:إن الحياة هي التي تحملنا على وضع القيم، إن الحياة هي التي "تُقوَّم" من خلالنا في كل مرة نضع فيها قيمًا**"[٣]، وبما أن للحياة مطالب متجددة، وهي لا تخضع لصيغ منطقية جامدة، وليس لها صورة واحدة ومطلقة، يقال إنها تثبت على اتجاه واحد، فبالتالي ستحمل الأخلاق والقيم السمة المتغيرة نفسها.

وفي النهاية يؤكد أن " **الخير الحقيقي هو كل ما يربي الشعور بالقوة و إرادة القوة، والقدرة ذاتها داخل الإنسان، والشر هو كل ما يتأتي عن الضعف، والسعادة هي الشعور بأن القوة تتنامى، وأن المقاومة يتم تجاوزها، وفهي ليست الشعور بالرضي، بل المزيد من**

---

(1)Nietzsche, F. : The will to Power,P:327

(٢)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٤١.

القوة، ليس السلام بأي طريقة، ولكنها الحرب، وليست الفضيلة، بل الكفاءة "فضيلة عصر النهضة. فضيلة بلا أخلاق سطحية وزائفة" [1].

ج- الجدل ودوره في المعرفة:

تأثر "نيتشه" بفكرة الجدل أو الديالكتيك عند السوفسطائيين، مقارنًا طبيعة الجدل عندهم والجدل بعد ذلك عند "سقراط" و"أفلاطون"، فوجد أن الجدل عند السوفسطائيين امتلأ بروح البهجة الناتجة عن الإبداع الجديد للفكر العقلي، وكان بمثابة ألعاب صارمة ومتزنة هي ألعاب الأفكار، والتعميمات، والدحض.

أما "مع سقراط" وأفلاطون " فقد حدث تضخم في مملكة الجدل، وتم اعتباره المنهج الرباني، ذلك المنهج الذي نرتفع به من المحسوس إلى المعقول دون أن نستخدم شيئًا محسوسًا، ولكن يتم الانتقال من فكرة إلى فكرة بواسطة فكرة.

ومن وجهة نظر "نيتشه" أن الجدل بهذا الشكل هو شكل من أشكال استبداد العقل في افتراض غاية أو نتيجة مُقَدمة يسير في طريقها الجدل، وفي المقابل يحاول "نيتشه" أن يكشف عن طبيعة الديالكتيك بوصفه فنًا إجرائيًا من بين كل الفنون إنه "فن النقاش" "فن متعة معرفة النفس من خلال الاستمتاع بالاختلاف".

إن "نيتشه" يحاول أن يعيد للفكر حيويته وحريته، يحاول ألا يضع قيود للتفكير، يبحث دائماً عن الحرية والإبداع.

ثالثًا: فيما يخص السؤال الثالث عن هيرمينوطيقا "فكرة موت الإله" عند "نيتشه":

فقد تمت مناقشه الفكرة من ثلاث جوانب:

أ- صورة الإله في مؤلفات نيتشه:

وجدنا أن " نيتشه" استخدم كلمة "الإله"بأكثر من صورة في مؤلفاته، فتارة يستخدمها بصيغة المفرد فيقول " أما الإله فقد مات"، وتارة يستخدمها بصيغة الجمع فيقول : "الآلهة الباطلة"، وتارة يتحدث عن "الأصنام" "فيقول: " أن الإنسانية أصبحت تعيش على عبادة الأصنام"، وحقيقة الأمر إن هذه الكلمات الثلاث ما هي إلا رموز لأفكار قدستها البشرية وعبدتها دون أن تدري أنها كانت سبباً في اضمحلالها وشقائها، وهي بذلك تعبر عن كلمة رمزية تحمل معنى كل ما هو مقدس ومتعال على الإنسان، وكل ما يقف في طريق تقدم البشرية.

---

(١) فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ص ٢٥.

ب_"موت الإله" ومبادئ الفكر الوجودي:

نظرت الوجودية إلي فكرة الإله من منظور مختلف عن علم اللاهوت الكلاسيكي، ففي الوقت الذي يعتمد فيه علم اللاهوت الكلاسيكي على إثبات الإله المفارق كعلة غائية بالأدلة والبراهين المنطقية؛ يرى "نيتشه" إنه ليس من حقنا أن نبحث في طبيعة الوجود لكي نصل به إلى علة أولى ترد إليها كل مظاهر الوجود.

فموت الإله يعني انتفاء فكرة الغائية أو العلة الأولى فيقول: " **إنه من العبث أن نريد أن ندفع وجودنا الذاتي إلى قصدية ما بعيدة، نحن من اخترعنا مفهوم "غاية"، أما في الواقع فالغاية غائبة. نحن جزء من القدر، نحن جزء من كل، نحن كائنون في هذا الكل لا شيء يمكن أن يحكم على كينونتنا أن يزنها أن يقارنها أن يدينها على أن خارج الكل ليس شيئًا هناك، ألا يكون أحدًا مسئولًا أبدًا، وألا يرجع بنمط الوجود أبدًا إلى "علة أولى قبلية"**[1].

ومن جانب أخر يؤكد "نيتشه" على أحد الأفكار الأساسية للوجودية ألا وهي فكرة أن "**الوجود يسبق الماهية**" التي عارض من خلالها فكرة الماهيات الثابتة التي تبنتها الفلسفات التقليدية أو الفلسفات الماهوية، وهذا بعينه هو ما يؤكد عليه "نيتشه" فيقول:" **ماذا يمكن أن تكون عقيدتنا الوحيدة؟ أنه لا أحد يهب للإنسان مزاياه: لا إله، ولا آباؤه، ولا أسلافه، ولا هو نفسه.... لا أحد يتحمل مسؤولية وجوده وتكونه بهذه الطريقة أو تلك، كونه في هذه الظرف أو ذاك، في هذا الوسط أو ذاك..... لا يمكن أن نستثني الطابع القدري لوجوده**"[2].

ج- الدلالات الدينية لفكرة "موت الإله":

عبارة "موت الإله" عند "نيتشه"إذا ما نظرنا إلى دلالتها الدينية نجد أنها كانت تعني الثورة علي الأفكار والأخلاق المسيحية كما صورها رجال الدين، والتي لم تسبب للإنسان إلا الشقاء، وقد لخص نيتشه أبعاد هذه الفكرة في كتابه "ألأول الأصنام" **قائلاً:"بالنسبة لنا نحن المغايرين الأمر بخلاف ذلك: فحين نتخلى عن العقيدة المسيحية، فإننا ننزع عنا في نفس الوهلة كل حق في الأخلاق المسيحية.. المسيحية نظام، ورؤية شاملة، ومتماسكة للأشياء. إذا نزعنا منها فكرة أساسية، وهي الإيمان بالله، فإننا نهدم الصرح كله في اللحظة نفسها، ولا يتبقي بين أيدينا آنذاك شيء له أدني لزوم. تفترض المسيحية أن الإنسان لا يعلم، ولا يستطيع أن يعلم ما هو خير له، وما هو شر له: إنه يؤمن بالإله الذي وحده يعرف ذلك... الأخلاق المسيحية أمر قطعي:أصله متعال فهي فوق نقد، فوق**

---

(١)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٥٥.

(٢)فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص٥٥& :فريدريش نيتشه:إرادة القوة، ص١٥٩.

كل حق في النقد... ليس لها من حقيقة إلا إذا كان الإله هو الحقيقة... إنها لا تستمر إلا إذا كان الإيمان بالإله مستمراً" [1].

د- الدلالات الفلسفية لفكرة موت الإله.

حملت عبارة "موت الإله" عند نيتشه معنى انهيار العديد من الأفكار التي طالما بحث فيها الفلاسفة، من أهمها:

أولاً: **<u>موت الإله يعني: نهاية كل الحقائق القديمة</u>": فليس هنالك من حقيقة مطلقة ولا أية مثاليات:** لقد انتهت أكذوبة "عالم المُثل" التي ظلت اللعنة الحائمة فوق الواقع، فبمجرد ما ابتدعت أكذوبة عالم المثل، تم تجريد الواقع من قيمته ومعناه ومن حقيقته، وأصبحنا دائماً أمام عالمين "العالم الحقيقي" و"العالم الظاهري" أو بعبارة أكثر وضوحاً العالم المبتدع والعالم الواقعي، ولكن ما يسمي عالم الظاهر، والعالم الذي أخترعه الكذب وكان يسمي "العالم الحقيقي" "الحقيقة" "الإله" هذا ما يجب علينا إلغاؤه.

كما أشارت فكرة موت الإله إلى انهيار "كل ما هو مطلق بصورة أساسية" : فلا يوجد شيء في حالة اكتمال وثبات، بل لم يعد يوجد سوى الإنسان الذي لا يوجد وجوداً نهائياً، وإنما هو في حالة صيرورة، وبالتالي فإن كل فكر ما هو إلا الصورة الممكنة والنسبية لصيرورة تاريخية لا تكتمل.

ثانياً: **<u>تعلن فكرة موت الإله عن معنى جديد للحقيقة</u>:** فالحقيقة ليست شيئاً موجوداً يجب البحث عنه واكتشافه، وإنما شيئاً يجب خلقه، شيئاً يعطي أسمه لعملية ما، لإرادة تحقيق انتصار ما، إرادة ليست لها في ذاتها غاية معينة، ولكن تقديم الحقيقة باعتبارها صيرورة لا تنتهي وعزم فعال، وليست وصول لشيء ثابت ومحدد".

ثالثاً: **<u>موت الإله يعني انهيار فكرة "المثل الأعلى</u>":** يري "نيتشه" أن "المثل الأعلى هو القوة الحقيقية السالبة للعالم والإنسان والقوة التي نفثت علي الواقع نفسها المسموم، والإغواء الكبير نحو العدم"، ولكنه يقول إن نهاية هذا المثل الأعلى قد حانت، و يرفض أن يعيش الإنسان في مرحلة من الخضوع والتبعية لفكرة أو لشخص مهما كانت قيمة هذه الفكرة.

---

(١) فريدريش نيتشه:أفول الأصنام، ص١٢.

رابعاً: <u>انهيار مملكة السماء لتأكيد ملكوت الأرض</u>: فقد تعاون الفلاسفة مع رجال الدين من أجل رسم صورة لعالم ميتافيزيقي مقابل العالم الإنساني وأسبغوا عليه الكمال والجمال المطلق، وما أوجدت هذه العوالم الآخري في عالمنا الأرضي سوى الآلام والشعور بالعجز. ولذلك يعلن نيتشه أننا صرنا بشراً، ولهذا لا نريد إلا ملكوت الأرض في محاولة منه لاستعادة الإنسان لكرامته ورد الاعتبار للحياة الدنيا، وكل ما هو تحت الشمس.

خامساً: <u>الخروج من مرحلة العدمية باختيار أصعب الطرق وأشدها ألماً</u>: فعندما حدث هذا التناقض بين العالم الذي نبجله، والعالم الذي نعيشه، والذي نشكله نحن، لم يبقَ أمامنا سوى أمرين إما القضاء على أنفسنا بالاستسلام والرضوخ، أو القضاء على تبجيلنا وحرماننا من الأمان القديم. ولكن الإنسان الحقيقي هو من يرفض الرضوخ.

سادساً: <u>تأكيد الطابع البطولي للإنسان</u>: أن من يسير في هذا الطريق المحفوف بالمخاطر يعتبره "نيتشه" بطلاً: إنه بطل! لأنه استطاع أن يعلو على نفسه وعلى الآخرين، واستطاع أن يتخذ لنفسه موقفاً، وأصبح وجوده مقترناً بهذا الموقف. لقد صارع هذا البطل الآلهة كائنة ما كانت، صارعها بقوة، وبلا حياء، من أجل أن يطردها من عالمه، ليثبت أن عالم الإنسان من صنعه فقط، وله وحده فقط بلا منازع، وليس لأحد آخر أي سلطة عليه.

وفي النهاية ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن عبارة "نيتشه" الشهيرة "الإله قد مات" والتي كانت ذريعة لأفكار الإلحاد، لم تكن سوي رمز لكل ما له صفة القداسة واعتبره الإنسان فوق مستوي النقد، كانت رمزاً لفكرة السلطة التي لا يمكن الخروج عنها سواء كانت هذه السلطة دينية أو اجتماعية أو سياسية، إن "نيتشه" يبحث عن الإنسان الحر الذي يري حياته مغامرة، ويشعر أن لديه القدرة علي إبداع الجديد كل يوم.

المصـــادر والمـــراجـــع

أولاً : المصادر الأجنبية :

أ. المصادر الأجنبية الخاصة بنيتشه:

1. **Nietzsche, F. :** The Anti-Christ, Ecce Homo, Twilight of the Idols, Trans. by: Judith Norman, Cambridge University Press, First published ,2005.
2. _____: Beyond Good and Evil, Trans. by: Helen Zimmern, Blackmask Online, 2002.
3. _____: The Gay Science, Trans. by : Josephine Knockoff, Cambridge University Press, 2001.
4. _____:On the Genealogy of Morality, trans. by, Carol Diethe , Cambridge University Press, First published, 2006.
5. _____: Human, All Too Human, trans. by: R. J. Hollingdale, Cambridge University Press, UK, 1996.
6. _____: The Will to Power ,Trans. by, R. J. Hollingdale, Vintage Books Edition , New York,
7. _____: Thus Spoke Zarathustra, Trans. by: Adrin Del Caro, Cambridge University press, New York.

ب. المصادر الأجنبية العامة:

8. **Kierkegaard S.** : " Concluding Unscientific Postscript", Trans. by: David F. Swenson, Oxford University, London, 1945.
9. _____: "The Sickness Unto Death" Trans. by: Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1941.
10. _____ , The Kierkegaard Journals (The Last Years) 1853-1855,Trans. by: Ronald Gregor Smith, Harper & Row, 1965.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

11. Caputo, J. D. : "How to read Kierkegaard", ", New York ,London, W. W. Norton and Company, 2008.
12. Constâncio, J. :As the Spider Spins: Essays on Nietzsche's Critique and Use of Language, Walter de Gruyter press, Germany,2012.
13. Deleuze,J. : Nietzsche and Philosophy, Trans. by: Hugh Tomlinson, Columbia University Press, USA, 1983.
14. Frank,M. : A History of the Theory of Self-Consciousness, Trans. by: Peter Dews and Simon Critchley , University of Tubingen , Germany. 2008.
15. Flynn, T. : "Existentialism" A Very Short Introduction, Oxford University press , Oxford, New York, 2006.
16. Mick, C. : Existential Therapies – GBR : sage publication , London ,2003.
17. Young, Michael R. ,: A Brief Introduction to Philosophical Hermeneutics: Journal of Faith and The Academy, Vol. II ,Fall 2009.

ثالثاً: موسوعات وقواميس فلسفية

18. Audi, R. :"The Cambridge Dictionary of Philosophy ", Cambridge University Press,Second Edition, 1999.
19. Diethe,C. : Historical Dictionary of Nietzscheanism, , The Scarecrow Press, Second Edition,U. S. A,2007.
20. Dagobert D. Runes: The Dictionary of Philosophy, Philosophical Library,Inc. NewYork, ,1998.

21. Michelman, S. : Historical Dictionary of Existentialism, The Scarecrow Press, Inc, 2008.

22. Skeat, Walter W. : An Etymology Dictionary of the English Langue, Oxford University press,

رابعاً: المصادر المترجمة إلى العربية:

ا. المصادر العربية المترجمة الخاصة بنيتشه:

٢٣. فريدريك نيتشه: إرادة القوة، ترجمة:محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١١.

٢٤. ــــــــــــ: أفول الأصنام، ترجمة:حسان بورقية، محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق، الطبعة الأولي، الدار البيضاء، ١٩٩٦.

٢٥. ــــــــــــ: إنساني مفرط في إنسانيته، ترجمة : محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٢

٢٦. ــــــــــــ: العلم الجذل، ترجمة : سعاد حرب، دار المنتخب العربي، بيروت، ٢٠٠١.

٢٧. ــــــــــــ: الفلسفة في العصر المأسوي الإغريقي: ترجمة :سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣

٢٨. ــــــــــــ: جينالوجيا الأخلاق، ترجمة:فتحي: المسكيني، دار سيناترا، المركز القومي للترجمة، تونس، ٢٠١٠.

٢٩. ــــــــــــ: عدو المسيح، ترجمة: جورج ميخائيل ديب، دار الحوار، الطبعة الثانية، د. ت.

٣٠. ــــــــــــ: ما وراء الخير والشر، ترجمة: موسي وهبه، دار الفارابي للطبع والنشر، الطبعة الأولي بيروت، ١٩٩٧.

٣١. ــــــــــــ: مولد التراجيديا: ترجمة :شاهر حسن عبيد، دار الحوار للطبع والنشر، الطبعة الأولى، سوري، ٢٠٠٨.

٣٢. ــــــــــــ: هوذا الإنسان، ترجمة :علي مصباح، منشورات الجمل، الطبعة الأولي، ألمانيا، ٢٠٠٨.

٣٣. ـــــــــــــ:هكذا تكلم زرادشت: ترجمة: فيليكس فارس، مطبعة جريدة المصير، الإسكندرية، ١٩٣٨.

ب. المصادر العربية المترجمة العامة:

٣٤. ألبير كامي: أسطورة سيزيف، ترجمة:أنيس زكي حسن، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٨٣.

٣٥. برتراند رسل: حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون،، العدد رقم ٦٢، الكويت، فبراير ١٩٨٣.

خامساً: المراجع العربية:

٣٦. احمد عبد الحليم عطية نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، سلسلة أفكار فلسفية، دار الفارابي، الطبعة الأولي، بيروت، ٢٠١٠.

٣٧. اريك هوبز باوم :عصر الثورة أوروبا (١٧٨٩_١٨٤٨)، ترجمة :فايز الصباغ، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولي٢٠٠٧.

٣٨. إسماعيل مهنانة:"نحو لاهوت بلا إله: المقدس والدين في فلسفة هيدجر":فصل في كتاب:فلسفة الدين:تجميع وتحرير:علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٢

٣٩. الشفيع الماحي أحمد : زرادشت والديانة الزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والعشرون، الرسالة ١٦٠، الكويت، ٢٠٠١.

٤٠. أنتوني جوتليب: حلم العقل تاريخ الفلسفة من اليونان حتى عصر النهضة، ترجمة: محمد طلبة نصار، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولي، القاهرة، ٢٠١٥.

٤١. أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨.

٤٢. إمام عبد الفتاح : سورين كيركجور رائد الوجودية، الجزء الأول، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

٤٣. أويجين فنك "فلسفة نيتشه"، ترجمة :إلياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٨٤.

٤٤. بولس سلامة: الصراع في الوجود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢.

٤٥. بيلي سوندرز: فن الأدب مختارات من شوبنهاور، ترجمة : شفيق مقار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦.

٤٦. جورج زيناتيد: رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٩٣.

٤٧. جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، ترجمة : أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٩٣.

٤٨. _____: نيتشه، ترجمة:أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٩٨.

٤٩. جون ماكوري: " الوجودية" ترجمة :إمام عبد الفتاح، مراجعة :فؤاد زكريا، دار الثقافة للطبع والنشر، القاهرة ١٩٨٦.

٥٠. حسن طلب: فلنرقص مع "نيتشه"، مجلة إبداع، مجلد رقم ١٩، عدد ٩، سبتمبر ٢٠٠١.

٥١. حربي عباس عطيتو: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلي الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.

٥٢. ريجيس جوليفيه: " المذاهب الوجودية من كيركجور إلى سارتر"، ترجمة : فؤاد كامل، مراجعة : محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٨٠.

٥٣. رودلف شتاينر: نيتشه مكافحاً ضد عصره، ترجمة :حسن صقر، دار الحصاد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، دمشق، ١٩٩٨.

٥٤. زكريا إبراهيم :مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، القاهرة، ب ت.

٥٥. صفاء عبد السلام جعفر:محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.

٥٦. _____: الذات الحقيقية عند كارل ياسبرز (قراءة في مفارقة المواقف الحدية)، إصدارات مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، المجلد السابع والأربعون، العام الجامعي ١٩٩٩/٩٨م.

٥٧. ـــــــــــــــ: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

٥٨. ـــــــــــــــ:هيرمينويطيقا الأصل في العمل الفني، منشأة المعارف، الطبعة الأولي، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

٥٩. ـــــــــــــــ:ميتافيزيقا الشخصية الحقيقية عند نيقولاي برديائف، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠٠٧.

٦٠. عبد الرحمن بدوي: نيتشه، وكالة المطبوعات، الطبعة الخامسة، الكويت، ١٩٧٥.

٦١. ـــــــــــــ: الأخلاق عند كانط، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩.

٦٢. عبد الرازق بلعقروز: نيتشه ومهمة الفلسفة، مطابع الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولي، بيروت، ٢٠١٠.

٦٣. عبد الغفار مكاوي:مدرسة الحكمة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

٦٤. عبد الغفار مكاوي: "كن نفسك قراءة لبعض نصوص نيتشه النفسية، مطبوعات كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٤.

٦٥. عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢.

٦٦. غنار سكيربك : تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلي القرن العشرين، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولي، بيروت، ٢٠١٤.

٦٧. فؤاد زكريا: نيتشه:دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، د. ت.

٦٨. كمال حبيب، المسيحية والجسد، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، ١٩٧٠.

٦٩. كوستي بندلي:إله الإلحاد المعاصر، منشورات النور، بيروت، ١٩٦٨.

٧٠. محمد ثابت الفندي:مع الفيلسوف، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠.

٧١. محمد غلاب:الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة، الدار القومية للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

٧٢. مراد وهبه: نيتشه وعلم اللاهوت، مجلة الملتقى، المغرب، عدد ١٦، مايو ٢٠٠٧.

٧٣. هنتر ميد:الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة :فؤاد زكريا، دار مصر للطباعة، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٥٩.

٧٤. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة. بدون تاريخ.

سادساً: الموسوعات الفلسفية العربية:

٧٥. أحمد راتب عمروش وآخرون: موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، الطبعة الأولي، بيروت، ٢٠٠١.

٧٦. عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي، ١٩٨٤.

٧٧. فرنسوا جورج دريفوس وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام، ترجمة: حسين حيدر، مراجعة :أنطوان الهاشم، الجزء الثالث، منشورات عويدات، الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٩٥.

٧٨. م. روزنتال وآخرون:الموسوعة الفلسفية، ترجمة:سمير كرم، دار الطليعة، ط٤، بيروت، ١٩٨١.

٧٩. :ميخائيل مكسي اسكندر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية، (ج٢)، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٩٨.

سابعاً: المعاجم الفلسفية العربية

٨٠. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج(٢)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

٨١. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ط٣، دار الطليعة،، بيروت، ٢٠٠٦.

٨٢. عبد المنعم الحفني : المعجم الفلسفي، الدار الشرقية، ط٣، القاهرة، ١٩٩٠.

٨٣. مراد وهبه : المعجم الفلسفي، دار قباء للطبع والنشر، ط٥، القاهرة، ٢٠٠٧.

ثامناً: مواقع الكترونية:

٨٤. نصحي عبد الشهيد : الرؤية المسيحية للجسد، مقال منشور في٠ http://www. mase7y. com يناير ٢٠١٠.